السلطان الروحي

واتشمان ني

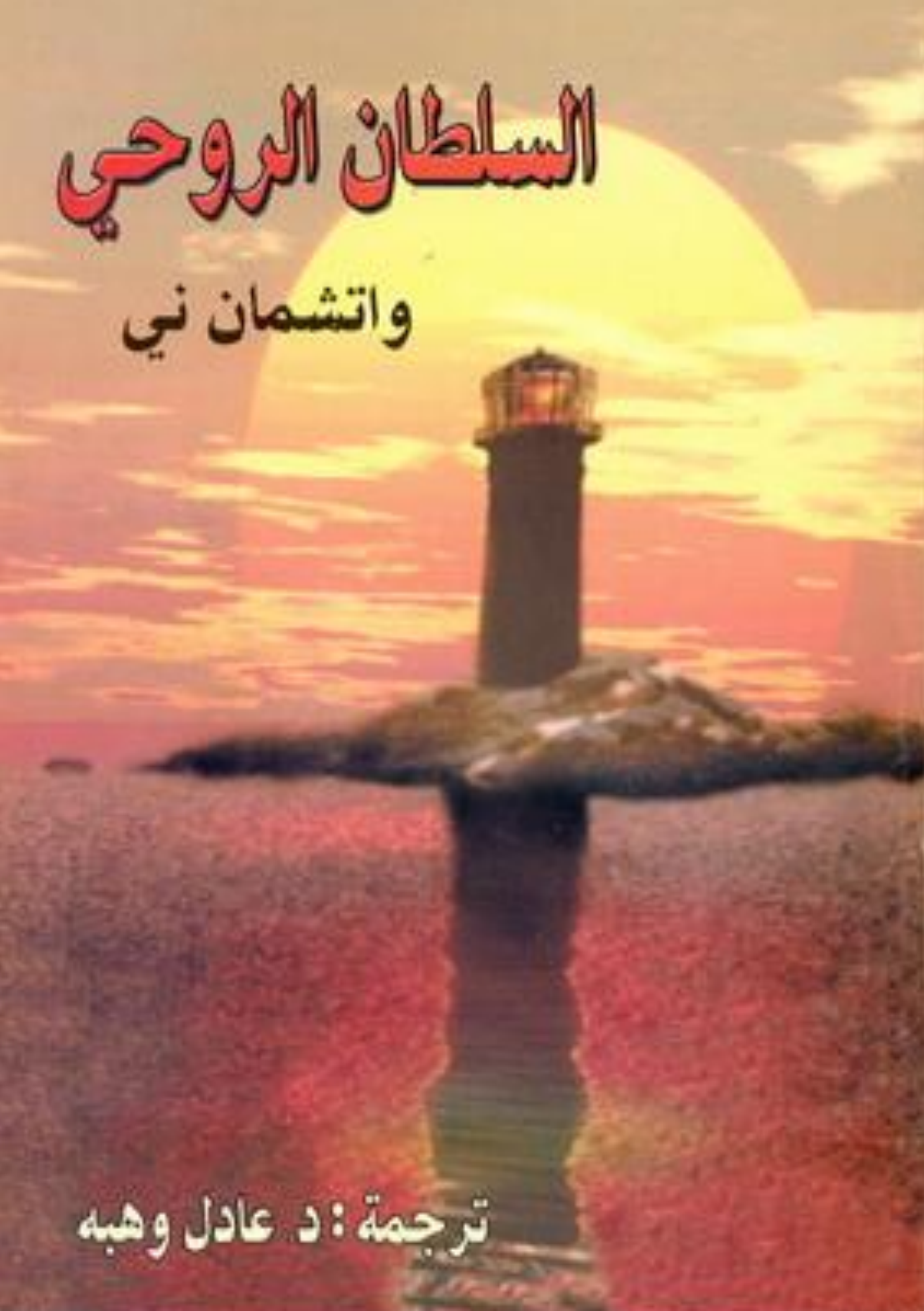

ترجمة : د عادل وهبه

إسم الكتاب: السلطان الروحي
المؤلف: واتشمان ني
ترجمة: د. عادل وهبه 2005
الناشر: www.sssegypt.org
رقم الإيداع: 16448/ 2004
الترقيم الدولي: 8 – 185 – 210 – 977
راسلونا على: ketab@ushaaqallah.com

الجزء الأول : السلطان والخضوع:

1- أهمية السلطان
2 - العصيان في العهد القديم
3 - أمثلة للعصيان في العهد القديم
4 - معرفة داود للسلطان
5 - طاعة الابن
6 - إقامة ملكوت الله
7- طاعة الإنسان للسلطة المفوضة
8 - سلطان الجسد
9 - مظاهر عصيان الإنسان
10 - تابع مظاهر عصيان الإنسان
11 - مقياس طاعة السلطان

الجزء الثاني :السلطات المفوضة من الله:

12- الذين يعتبرهم الله سلطات مفوضة
13 - المؤهل الأساسي للسلطات
14 - سمة أصحاب السلطة
15 - أساس التمتع بالسلطات
16 - سوء إستخدام السلطة
17- السلطات المفوضة
18 - الحياة اليومية
19- أصحاب السلطات
20 - شروط السلطات المفوضة

الفصل الأول

السُلطان والخضوع

1. أهمية السلطان

"لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ (العليا)، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً.. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ.. لِذلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ، لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ.. فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ.. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ" (رو 13: 1- 7)

"الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ (له صورة الجوهر ذاته)، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي" (عب 1: 3)

"كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ" (إش 14: 12-14)

"وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ" (مت13:16)

"فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ:"أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هذَانِ عَلَيْكَ؟" وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ:"أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟" قَالَ لَهُ يَسُوعُ:"أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ"(مت 26: 62- 64)

عرش الله قائم بسلطان

إن كل أعمال الله تصدر من عرشه، وكل شيء مخلوق بسلطان الله، وهذا السلطان هو الذي يحفظ كل القوانين الطبيعية للكون كله؛ ولذلك يستخدم الكتاب تعبير "**حامل كل الأشياء بكلمة قدرته**"، بمعنى حمل كل الأشياء بكلمة قدرة سلطانه؛ لأن سلطان الله يمثل الله ذاته عندما تكون قوته هي فقط من أجل عمله. إن الخطية ضد القوة يمكن غفرانها بسهولة أكثر من الخطية ضد السلطان، ذلك لأن الأخيرة تكون ضد الله نفسه. الله وحده له السلطان على كل الأشياء، وعلى كل السلاطين المرتبة بالله. وبناء على ذلك، علينا نحن الذين نرغب في خدمة الله أن نعرف سلطان الله.

أصل إبليس

لقد تحوّل رئيس الملائكة إلى شيطان، عندما حاول أن يتعدى على سلطان الله، ويتنافس معه، وهكذا صار خصماً لله. العصيان كان سبب سقوط الشيطان

إن ما ورد "**كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ. لكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ**" (إش 14: 12- 15) و"**كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ، عَقِيقٌ أَحْمَرُ وَيَاقُوتٌ أَصْفَرُ وَعَقِيقٌ أَبْيَضُ وَزَبَرْجَدٌ وَجَزْعٌ وَيَشْبٌ وَيَاقُوتٌ أَزْرَقُ وَبَهْرَمَانُ وَزُمُرُّدٌ وَذَهَبٌ. أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةَ صِيغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيعِهَا يَوْمَ خُلِقْتَ. أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ، وَأَقَمْتُكَ. عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ. بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ. قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ. سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ، وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ**" (حز 28: 13-17) يخبرنا عن قيام الشيطان وسقوطه. إن الجزء الأول يؤكد على كيفية تعدي الشيطان على سلطان الله. بينما يشدد الجزء الثاني على خطيته ضد قداسة الله. إن انتهاك سلطان الله هو عصيان أكثر خطورة من إنتهاك قداسة الله. وحيث أن الأمر هو سلوك، فالخطية تغفر بسهولة أكثر من العصيان، لأن الأخير هو موضوع مبدأ. إن قصد الشيطان أن يضع عرشه فوق عرش الله، كان هو الأمر الذي نقض سلطان الله، ومبدأه هو تعظيم الذات. إن فعل الخطأ لم يكن سبب سقوط الشيطان، لكن هذا العمل لم يكن سوى نتيجة عصيانه لسلطان الله. وهذا العصيان هو الذي أدانه الله. إننا في خدمتنا لله، علينا أن لا نتعدي السلطات، لأن التعدي هو مبدأ شيطاني، وكيف نكرز بالمسيح تبعاً لمبدأ شيطاني؟ من الممكن أن نقف مع المسيح في التعليم، وفي الوقت نفسه، نقف مع الشيطان في المبدأ. ليتنا نلاحظ أن الشيطان لا يخاف من كرازتنا بكلمة المسيح، لكنه يخاف جداً من خضوعنا لسلطان المسيح. إن الشيطان لا يزال مغتصباً للعرش حتى اليوم، وسوف يطرح وقت نهاية سفر الرؤيا.

في الصلاة التي علمها الرب لكنيسته، يشير التعبير "**وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ**"، إلى عمل الشيطان، بينما التعبير "**لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ**" يشير مباشرة إلى الشيطان نفسه. وبعد ذلك مباشرة، يضع

الرب توضيحاً مهماً للغاية: "**لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ**" (مت 6: 13) إن كل الملك والسلطان والمجد هو لله ولله وحده. إن ما يحررنا تماماً من الشيطان، هو إدراكنا لهذا الحق الثمين، أن المُلك هو لله. وبما أن الكون كله تحت سيادة الله، علينا إذن أن نخضع أنفسنا لسلطانه، ولا يمكن لأحد أن يسلب مجد الله. لقد أظهر الشيطان كل ممالك العالم للرب يسوع، لكن الرب أجابه أن ملكوت السموات هو لله، وهنا علينا أن نرى الذي له السلطان. إننا نكرز بالإنجيل لكي نحضر الناس إلى سلطان الله، ولكن كيف نؤسس سلطان الله على الأرض إذا كنا نحن أنفسنا لا نخضع للسلطان؟ وكيف نتعامل مع الشيطان؟

السلطان هو الخلاف الكوني

أن الجدل في الكون كله يتمركز حول الفائز بالسلطة. ومعركتنا مع إبليس هي النتيجة المباشرة لأننا ننسب السلطان إلى الله وحده. لكي نحتفظ بهذا السلطان، يجب أن نخضع له من كل قلوبنا. ولعله من الضروري جداً أن تكون لنا معرفة أساسية له. لقد حاول شاول الطرسوسي أن يمحو الكنيسة قبل أن يعرف شيئاً عن سلطان الله، وبعدما تقابل الرب معه، أدرك صعوبة رفسه للمناخس (القوى البشرية ضد سلطان الله). لقد سقط فوراً على الأرض وأدرك أن يسوع رب. وبعد ذلك، استطاع أن يخضع للتعليمات المعطاة له بواسطة حنانيا في مدينة دمشق، لأن شاول قد تقابل مع سلطان الله. لقد عرف سلطان الله في اللحظة التي خُلص فيها، كما عرف خلاص الله. كيف أمكن لشاول ذلك الشخص المقتدر والماهر، أن ينصت لكلمات حنانيا، ذلك التلميذ الصغير المجهول والذي لم يذكر سوى مرة واحدة في الكتاب المقدس، ما لم يتقابل أولاً مع سلطان الله؟ هذا يرينا أن من يعرف السلطان يتعامل بنقاوة مع السلطان، وليس مع الناس. ليتنا لا نرى البشر، بل السلطان الذي فيهم، وكأننا لا نطيع الناس بل نطيع سلطان الله الذي فيهم من الله. وإلا، فكيف نتعلّم ماهية السلطان؟ إذا تقابلنا مع الإنسان أولاً قبل طاعتنا للسلطان، فنحن في طريق خطأ والعكس صحيح، وعندئذ لا يهمنا كثيراً هذا الإنسان .

لقد قصد الله أن يُظهر سلطانه للعالم من خلال الكنيسة، ويمكن أن نرى سلطان الله في تعاون الأعضاء المتعددين لجسد المسيح. إن الله يستخدم أقصى قوته لحفظ سلطانه، ولذلك فإن سلطانه هو أصعب ما يمكن الوقوف ضده. أما نحن الأبرار في ذواتنا، لكننا في الواقع عميان ومحتاجون للمقابلة مع سلطان الله ولو لمرة واحدة في حياتنا، حتى ننكسر في خضوع، وهكذا نبدأ تعلّم الطاعة لسلطانه.

أعظم مطلب كتابي هو الطاعة لمشيئة الله

إن أعظم مطالب الله للإنسان، ليس حمل الصليب، أو الخدمة، أو التقدمات، أو إنكار الذات، لكن أعظم مطلب هو الطاعة. قديماً أمر الله الملك شاول أن يضرب عماليق بالتمام (1صم 15)، ولكن بعد أنتصاره، عفا شاول عن أجاج ملك عماليق، بالإضافة إلى خيار الغنم والبقر وكل الجيد منها وكانت حجته أن يقدم هذه الحيوانات ذبائح لله. لكن صموئيل قال له؟ "**هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ** "(1صم 15: 22) والذبائح هنا رائحة سرور للرب ولا دخل لها بالخطية، بل لرضاء الرب وقبوله. لماذا قال صموئيل إن الطاعة (الاستماع) أفضل من الذبيحة؟ ذلك لأنه حتى في الذبيحة هناك عنصر الإرادة الذاتية. أما الطاعة فهي فقط لتمجيد الله، لأن مركزها هو إرادة الله. الخضوع هو التعبير عن السلطة والتخلي عن الذات وهذا ممكن عندما يعيش الإنسان في الروح، وهذا أسمى تعبير عن إرادة الله.

صلاة الرب في جثسيماني

يعتقد البعض إن صلاة ربنا في ذلك المكان وعندما كانت قطرات عرقه كالدم، أنها بسبب ضعف الجسد، أو الخوف من الكأس.. كلا على الإطلاق، لأنها كانت بذات المبدأ مثل "**هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ**" (1صم 15: 22) إنها أعلى صلاة عبّر الرب فيها عن طاعته لسلطان الله. إن ربنا يطيع سلطان الله أولاً أكثر من تقديم ذبيحة على الصليب. إنه صلى باجتهاد لكي يعرف مشيئة الله. لم يقل "أنا أريد أن أُقدم نفسي ذبيحة ولابد أن أشرب الكأس"، ولكنه أصر فقط على الطاعة، وقال "لو أمكن أن لا أذهب إلى الصليب" وهو هنا يتخلى عن إرادته الخاصة، ولذلك أكمل على الفور "**لتكن لا إراتي بل إراتك**". إرادة الله مطلقة، أما الكأس (أي الصلب) فليس مطلقاً. لو كانت إرادة الله عدم الصلب، فلا حاجة للرب أن يذهب إلى الصليب. قبل أن يعرف إرادة الله، كان الكأس وإرادة الله أمرين منفصلين، ولكن بعدما عرف أنه من الله، امتزج الكأس بإرادة الله وصارا أمراً واحداً. إن الإرادة تمثّل السلطان، ولذلك لكي نعرف إرادة الله وطاعتها، لابد من الخضوع للسلطان، ولكن كيف يتم ذلك إذا كان الفرد لا يصلي أو ليس له القلب لمعرفة إرادة الله؟ قال الرب "**اَلْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟**" (يو 18: 11) وهو هنا يحافظ على سمو سلطان الله. بعدما أدرك أن شرب الكأس – الصلب الكفاري – هو إرادة الله، قال على الفور "**قُومُوا نَنْطَلِقْ**" (مت 46:26)، وبذهابه إلى الصليب، كان يتمم إرادة الله، وبناء عليه، يكون موت الرب يسوع هو أسمى تعبير لطاعة السلطان. وحتى الصليب، الذي هو المشكلة المحيّرة

للعالم كله، لا يمكن أن يكون أعلى من إرادة الله. إن الرب يسوع إحتفظ بسلطان الله (إرادة الله) أكثر من صليبه هو (ذبيحته). عندما نخدم الله، فإننا لسنا مدعوين لاختيار إنكار الذات أو التضحية، ولكننا مدعوون لتحقيق قصد الله. إن المبدأ الأساسي ليس اختيار الصليب، ولكن طاعة إرادة الله. إذا كان المبدأ الذي نعمل عليه ونخدم به يتضمن العصيان، فسوف يتمجد إبليس حتى من خلال تضحياتنا. ربما قدم شاول غنماً وبقراً، لكن الله لم يقبلها كذبائح لنفسه، وذلك لأنها تضمنت مبدأ شيطانياً. إن التهاون بسلطان الله تهاون بالله نفسه. ولذلك يقول الكتاب "**لأَنَّ التَّمَرُّدَ (العصيان) كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ، وَالْعِنَادُ (أو الإرادة الذاتية) كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ**" (1صم 15: 23) إننا كخدام الله، يجب أن نتقابل أولاً مع السلطان، وهذا أمر عملي مثل الخلاص، ولكنه درس أعمق؛ وعلاقتنا بكاملها مع الله تعتمد على هذا الأمر من عدمه.

كيف تصرّف الرب وبولس تحت القضاء؟

يُسجل الوحي المحاكمة المزدوجة التي خاضها الرب بعد إلقاء القبض عليه (مت 26)، وهما محاكمة دينية أمام رئيس الكهنة ومحاكمة سياسية أمام بيلاطس. أمام الأخير، لم يجب بشيء لأنه ليس تحت أي سلطان أرضي، ولكن لما استحلفه رئيس الكهنة، أجاب؛ وهذا هو الطاعة للسلطان. وأيضا خضع الرسول بولس للقضاء بسرعة عندما علم أن حنانيا كان رئيساً للكهنة (أع 23) ومن ثم، فإننا نحن العاملين سوف نواجه السلطان وجهاً لوجه، وإلا فإن عملنا سوف يكون تحت مبدأ العصيان الشيطاني، وسوف نعمل دون الحاجة لمعرفة إرادة الله، وعندئذ لن نكون تحت مبدأ السلطان. ولعل هذا يتطلب قدراً كبيراً من الإعلان. لقد وبخ الرب يسوع بشدة أولئك الذين يتنبأون ويخرجون الشياطين باسمه ويعملون أعمالاً عظيمة "**لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَارَبُّ، يَارَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!**" (مت 7: 21- 23) لماذا؟ لأنهم جعلوا ذواتهم هي نقطة البداية؛ إنهم بأنفسهم يفعلون باسم الرب. وهذا هو نشاط الجسد، ولذلك دعاهم الرب فاعلي إثم بدلاً من عاملون معه. ثم يؤكد الرب أن الذي يفعل مشيئة الآب هو فقط الذي سوف يدخل السموات، وهذا فقط هو العمل بحسب مشيئة الله. إننا لا نبحث عن عمل نقوم به، بل بالحري يرسلنا الله إلى العمل. وعندما ندرك هذا، سوف نختبر بصدق حقيقة سلطان ملكوت السموات.

السلطان يتطلب إعلاناً عظيماً

هناك أمران مهمان في العالم، وهما الثقة في خلاص الله، والطاعة لسلطانه. يعرّف الكتاب المقدس الخطية أنها "التعدي" **وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي** (1يو 3: 4) إن كلمة "بدون" **"لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ. وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ"** (رو2: 12) تعادل كلمة "ضد" الناموس. والتعدي هو عصيان سلطان الله، وهذه هي الخطية. الخطية هي مسألة سلوك، أما التعدي فهو مسألة تتعلق بموقف في القلب. إن العصر الحاضر يتميز بالتعدي، ومن ثم سوف يظهر ابن التعدي سريعاً. إن السلطان في العالم يتقوّض تدريجياً حتى أنه في النهاية سوف يسقط ويصبح التعدي هو القاعدة السائدة. دعونا نتأكد أن هناك مبدأين في العالم :مبدأ سلطان الله، ومبدأ العصيان الشيطاني. إننا لا نستطيع أن نخدم الله وفي الوقت ذاته نسلك طريق العصيان بأن تكون لنا روح غير مطيعة. إن الشيطان يضحك عندما يعظ شخص عاصٍ بالكلمة، ذلك لأن المبدأ الشيطاني ساكن فيه. إن مبدأ الخدمة هو السلطان.

هل سوف نطيع سلطان الله أم لا؟

إن أي شخص اختبر مرة صدمة كهربائية، سوف يعرف أنه لا يستطيع أن يتعامل مع الكهرباء في ما بعد بإهمال. وهكذا فإن الشخص الذي يقع مرة تحت سلطان الله، سوف يفتح عينيه لكي يحكم على أي تعد سواء في نفسه أو في الآخرين. ليت الله يرحمنا ويحررنا من العصيان.

2. أمثلة العصيان في العهد القديم

وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: "مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تك 2: 16، 17)

"لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً" (رو 19:5)

(1) سقوط الإنسان بسبب العصيان

كانت النقطة الأساسية في أمر الله لآدم أكبر من مجرد منعه من أكل ثمره معينة؛ لقد كانت هي وضع آدم تحت سلطان حتى يتعلّم الطاعة. من جانب واحد، لقد وضع الله كل المخلوقات على الأرض، تحت سلطان آدم واستطاع أن يسود عليها، ولكن من الجانب الآخر، وضع الله آدم نفسه تحت سلطانه هو حتى يطيع أدم هذا السلطان. إن الشخص الذي تحت سلطان، هو فقط الذي يمكن أن يكون صاحب سلطان. لقد خلق الله آدم قبل أن يصنع حواء، ووضع آدم تحت سلطانه، وحواء تحت سلطان آدم. لقد اتخذت حواء قرارها الخاص عندما رأت الثمرة جيدة وشهية، وأكلت منها بناء على إرادتها الشخصية، لم تتعد نظام الله نفسه فحسب، بل عصت آدم أيضاً. إن العصيان ضد ممثل سلطان الله، هو مثل العصيان ضد الله. وعندما أكل آدم من الثمرة الممنوعة، فقد أخطأ ضد إرادة الله المباشرة، ومن ثم كان هو أيضاً عاصياً لسلطان الله.

يجب أن يتم كل العمل في طاعة

لم توضع حواء تحت سلطان الله فقط، بل أيضاً تحت سلطان آدم بحسب نظام الله، فكان عليها الطاعة لسلطان مزدوج. ولعل وضعنا اليوم لا يختلف عن ذلك. ولما رأت حواء أن الأكل كان حسناً، فقد أكلت دون اعتبار لمن تطيعه، وكان تصرفها محكوماً بإراداتها الذاتية، ولم تكن خاضعة سواء لنظام الله أو لسلطانه. لقد عصت الله وسقطت. إن كل عمل ينقصه الطاعة هو سقوط، وكل عمل بلا طاعة هو عصيان. كلما زادت طاعة الإنسان، قلت أفعاله الذاتية. عندما نبدأ أولاً في إتباع الرب نكون في ملء النشاط لكن مُقصّرين في الطاعة، أما بعد تقدمنا روحياً، تقل أعمالنا تدريجياً حتى نمتلئ بالطاعة. وكثيرون على أي حال، يفعلون ما يحبون ويرفضون عمل ما لا يحبونه، ولا يفكرون مطلقاً أن ما يفعلونه هو بعيد عن الطاعة، ولذلك فإن أعمالاً كثيرة تتم من الذات، وليس طاعة لله.

الصواب والخطأ هو في يد الله

عمل الإنسان لا يجب أن يكون تحت حكم معرفة الخير والشر، ولكن يجب أن يكون بدافع الإحساس بالطاعة. إن مبدأ الخير والشر بحسب ما هو صواب أو خطأ. قبل أن يأكل آدم وحواء من الثمرة المحرمة، كان الخطأ والصواب بالنسبة لهما في يد الله، ولو لم يعيشا أمام الله لما علما شيئاً على الإطلاق، ذلك لأن الصواب والخطأ كانا عند الله. ولما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر، وجدا مصدراً للخير والشر بخلاف الله نفسه. وبالتالي، فإنه بعد السقوط لم يعد الإنسان محتاجاً أن يجد في الله إحساس الصواب والخطأ؛ فقد صار هذا الإحساس في الإنسان نفسه، نتيجة للسقوط. إن عمل الفداء، هو دعوتنا إلى المكان الذي نجد فيه صوابنا وخطأنا في الله.

على المؤمنين طاعة السلطان

لا يوجد سلطان إلا من الله، وكل السلاطين مرتبة بواسطته. وعندما نقتفي أثر كل السلطات حتى نصل إلى مصدرها فسوف نأتي في النهاية إلى الله، فهو فوق كل السلطات وهي جميعاً تحته. وعندما نلمس سلطان الله، فنحن نلمس الله ذاته. والواقع أن عمل الله يتم أساساً ليس بالقوة بل بالسلطان. إنه يحمل كل الأشياء بقوة كلمة سلطانه، تماماً كما خلقها بالكلمة ذاتها. إن سلطانه في أمر كلمته. لا نستطيع القول بكيفية عمل سلطان الله، لكننا نعلم أنه يعمل كل شيء بهذا السلطان. كان لقائد مائة عبد مريض، وكان هذا القائد يعلم أنه صاحب سلطان على آخرين وأنه تحت سلطان أيضاً. ولذلك طلب من الرب يسوع أن يقول كلمة، واثقاً أنه بذلك يتم عمل الشفاء، لأن كل السلطات في يد الرب. ولا عجب أن امتدح سيدنا إيمانه العظيم "**فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ لِلَّذِينَ يَتْبَعُونَ: اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا!**" (مت 8: 10) إن التلامس مع سلطان الله يتساوي بالتقابل مع الله، إن العالم اليوم يزخر بسُلطات وضعها الله، وكل قوانين الكون موضوعة بالله وكل شيء تحت سلطانه. عندما يخطئ إنسان ضد سلطان الله، فهو يخطئ ضد الله. ولذلك يجب أن يتعلم كل المؤمنين طاعة السلطان.

الدرس الأول: تعلّم طاعة السلطان

إننا تحت سلطان البشر، كما أن لنا بشراً تحت سلطاننا أيضاً. وحتى ربنا يسوع وهو على الأرض، لم يكن تحت سلطان الله فحسب، بل أيضاً تحت سلطان آخرين. هناك في أي مكان، في المدرسة، في البيت، في الشارع (رجل البوليس)... وما أن يجتمع بعض الإخوة في المسيح، إلا ويصدر أمر روحي في الحال. إن العامل المسيحي عليه أن يعرف رئيسه. إن البعض لا يعرفون السلطات التي

تفوقهم ومن ثم لا يطيعونها. إننا لا يجب أن ننشغل بالخطأ والصواب، أو بالخير والشر، بل بالحري علينا أن نعرف السلطان الذي علينا وحالما نعرف الشخص الذي نخضع له سوف نجد مكاننا الطبيعي في الجسد. ومن المؤسف أن مؤمنين كثيرين اليوم ليس لديهم أدنى فكرة بخصوص الخضوع ولذلك يوجد الكثير من الفوضى والتشويش. ولهذا السبب، فإن الطاعة للسلطان هي الدرس الأول الذي يجب أن يتعلمه كل عامل مسيحي، كما أنها تحتل مكاناً كبيراً في العمل ذاته.

لابد من إستعادة الطاعة

بعد سقوط آدم، سادت الفوضى في الكون. لقد اعتقد كل فرد أنه قادر على التمييز بين الخير والشر، والحكم على الصواب والخطأ؛ وكأنه يعلم أفضل من الله. وهذه هي عبادة السقوط. إننا نحتاج أن نتحرر من مثل هذا الخداع، لأنه لا يعدو سوى عصيان صريح. إن إدراكنا للطاعة هو للأسف غير كافٍ. يعتقد البعض أن طاعتهم كاملة بناء على طاعتهم في المعمودية. إن كثيرين من شباب الطلاب ينظرون إلى أمر الله لطاعة مدرسيهم على أنه أمر صعب؛ وكذلك العديد من الزوجات يعتبرون الأمر الإلهي بخضوعهن لأزواجهن المتشددين، أنه في منتهى القسوة. وهكذا فإن مؤمنين كثيرين جداً يعيشون اليوم في حالة عصيان. إن الخضوع الذي نتعلمه من الكتاب المقدس، يختص بالخضوع للسلطات المرتبة بالله. وكما أن الإيمان هو المبدأ الذي نحصل به على الحياة، كذلك الطاعة هي المبدأ الذي نعيش به هذه الحياة. إن الانقسامات والاضطرابات في الكنيسة تنشأ عادة من العصيان. ولكي نستعيد السلطان، يجب أن نستعيد الطاعة أولاً. ولئن اعترف كثيرون بمعرفتهم عن كيفية طاعة الله، لكنهم واقعيا لا يعرفون شيئاً بخصوص السلطة المنتدبة ومدى الطاعة لها.

لا وحدة للجسد بدون سلطان الرأس

إن الله يعمل من أجل وحدة الجسد. ولكن لكي يتم ذلك، يجب أن تكون هناك أولاً حياة للرأس، ثم يتبع ذلك سلطانها. بدون حياة الرأس، لا توجد وحدة للجسد، وبدون سلطان الرأس، لا توجد وحدة للجسد، ولكي نحتفظ بوحدانية الجسد، يجب أن نترك الحكم لحياة الرأس.

الله يريدنا أن نطيع سلطاته المفوضة، كما نطيعه هو نفسه. إن كل أعضاء الجسد يجب أن يخضعوا بعضهم لبعض، وعندئذ يكون الجسد واحداً مع نفسه ومع الرأس. وعندما تسود سلطة الرأس، تتم إرادة الله، وهكذا تصبح الكنيسة ملكوت الله.

بعض دروس عن الطاعة

إن آجلاً أو عاجلاً، فإن الذين يخدمون الله، سوف يتقابلون مع نوع من السلطة في الكون، وفي المجتمع، وفي البيت، وفي الكنيسة. كيف يستطيع أي واحد أن يخدم الله ويطيعه إذا لم يكن قد تقابل مرة مع سلطان الله؟ إن هذا التقابل يتعدى مجرد التدريس أو التعليم، لأن التعليم قد يكون مجرداً. ولا يمكن لأي واحد أن يطيع سلطان الله بدون رحمة الله عليه. ولذلك دعونا نتعلّم بعض الدروس، مثل:

1 - دعونا نتعلّم روح الطاعة

2 - ممارسة الطاعة. بعض الأفراد همجيون ولا يقدرون على الطاعة، ولكن المتدربين لا يجدون صعوبة.

3 - تعلّم ممارسة انتداب (تفويض) السلطة. إن كل من يعمل لأجل الله، يحتاج ليس فقط أن يتعلّم طاعة السلطة، بل أيضاً يتعلم كيفية تمثيل سلطة الله في الكنيسة أو في البيت. وحالما تتعلم كيفية أن تكون تحت سلطان الله، سوف تحسب نفسك لا شيء، حتى لو استأمنك الله على الكثير. يتعلم البعض الطاعة فقط، ويفشلون في المعركة كيف يكونون في سلطان عندما يذهبون إلى مكان ما. من الضروري تعلّم ممارسة السلطة مثل الوجود تحت سلطة.

3. تابع أمثلة للعصيان

(2) عصيان حام بن نوح

"وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: "مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ". وَقَالَ "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ" (تك 9: 20- 27)

سقط آدم في جنة عدن، وإنهزم نوح في كرمه؛ ولكن بسبب بره، أنقذ الله عائلته من الطوفان. كان نوح هو رأس العائلة بحسب خطة الله، وقد وضع كل أفراد عائلته تحت سلطانه. ولكن يوماً ما، سكر نوح وتعرى في خيمته - لم يكن يعلم أن عصير العنب المختمر يذهب العقل - ورأى حام عورة أبيه وأخبر أخوته خارجاً. لقد فشل حام في تقدير وقار السلطان. كان الأب هو السلطة المرتبة بالله داخل البيت، أما الجسد فقد سُر أن يرى خللاً في السلطة ومن ثم ألقى بكل الالتزامات. عندما رأى حام سلوك أبيه غير السليم، لم يشعر بأدنى خجل أو أسف، كما لم يحاول أن يغطي الخطأ، وهذا يعلن روح العصيان التي كانت له. لقد خرج وأخبر أخوته عن فضيحة أبيه وبذلك أضاف إلى نفسه خطية السب العلني. ولنلاحظ الكيفية التي تعامل بها سام ويافث، إذ لم يبصرا عورة أبيهما، وغطياه بالرداء. إننا نجد هنا، أن فشل نوح كان بمثابة اختبار لسام ويافث وابن حام كنعان. لقد تم الإعلان عن المطيع وعن العاصي. إن سقطة نوح كشفت عصيان حام. بعدما أفاق نوح تنبأ أن نسل حام سيكونون عبيداً لإخوانهم، وكان كنعان أول عبد يذكره الكتاب المقدس. وهذا يعني أن الذي لا يخضع للسلطان، سوف يصبح عبداً لذاك الذي يطيع السلطان. لقد تبارك سام، وجاء الرب يسوع من نسله. لم يحترم حام السلطان، ولذلك وضع تحت السلطان في كل أجياله القادمة.

(3) ناداب وأبيهو قدما ناراً غريبة

"وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا. فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ" (لا 10: 1، 2)

لماذا احترقا؟ لقد كانا كاهنين، ليس بسبب استقامتهما الشخصية، ولكن لأنهما كانا ينتميان للعائلة التي اختارها الله للكهنوت. كان هرون هو رئيس الكهنة، أما أولاده فكانوا مساعدين له يخدمون بجانب المذبح وفي طاعة هرون، ولم يدع الله أولاد هرون أن يكهنوا بمفردهم قط، لكنه وضعهم تحت إمرة هرون لقد ذكر هرون وبنوه ثماني مرات في (لا8)، وفي الأصحاح التالي، قدم هرون ذبائح وساعده أولاده بجانبه، وكان كل شيء يبدأ بهرون وليس بواحد من أبنائه. وإذا خاطر الأبناء في تقديم ذبائح بأنفسهم، فهي إذن غريبة، وهذا ما فعله بالضبط ناداب وأبيهو، عندما اعتقدا أنهما يستطيعان تقديم ذبائح بأنفسهما دون أمر من هرون. إن معنى النار الغريبة، هو الخدمة بدون أمر، أو الخدمة بدون طاعة للسلطان. لقد شاهدا أباهما أثناء تقديمه الذبائح، فكان الأمر بسيطاً لديهما، ولذلك افترضا إمكانية القيام بالعمل ذاته، وفشلا في رؤية سلطان الله المتمثل في هرون.

الخدمة، منشأها الله

إننا نأتي هنا إلى مشكلة خطيرة، إذ يبدو أن خدمة الله وتقديم نار غريبة، كما لو أنهما متشابهان، لكنهما مختلفان تماماً. الخدمة الحقيقة هي التي يبدأها الله. وعندما يخدم الإنسان تحت سلطان الله، فهو إذن مقبول. أما النار الغريبة فالإنسان هو الذي يبدأها، ولا تتطلب معرفة إرادة الله أو طاعة سلطانه. إنها تمم بواسطة غيرة الإنسان الذاتية، وتنتهي بالموت. وإذا حدث أن صارت خدمتنا وعملنا ميتين، فلابد إذن أن نطلب إستنارة من الله لكي نعلم إذا كنا نخدم بحسب المبدأ الحقيقي للخدمة، أم بحسب مبدأ النار الغريبة.

عمل الله هو تناسق السلطات

لقد عمل ناداب وأبيهو بعيداً عن هرون، ومن ثم عملا مستقلين عن الله. لكن عمل الله لابد أن يتوافق مع السلطان، وكانت إرادة الله أن يعمل ناداب وأبيهو تحت سلطان هرون. ونلاحظ في العهد الجديد أن برنابا وبولس عملا معا، وكذلك بولس وتيموثاوس، وبطرس ومرقس. كان البعض مسئولاً، وكان الآخرون معاونين. وفي عمل الله، هناك سلطان وأخرون تحت سلطان. إن من يتطرف ويرفع رأسه ويعمل مستقلاً، فهو عاصٍ، والنتيجة هي الموت. إن من يحاول أن يخدم الله بدون أن يتقابل أولاً مع السلطان، فهو كمن يقدم ناراً غريبة. وأي فرد يقول: "إذا كان هو يستطيع.. فأنا كذلك" فهو في حالة عصيان. إن الله لا يهتم فقط بوجود النار، لكنه حريص أيضاً أن نلاحظ طبيعة هذه النار؛ والعصيان يغير من طبيعة النار. وكل نار ليست بأمر يهوه أو بامر هرون، فهي نار غريبة. إن ما يتطلع الله نحوه، ليس مسألة الذبيحة ولكن مسألة استمرار الطاعة.

كما أن السلطة المفوضة تتبع الله، هكذا الذين تحت السلطان، يجب أن يتبعوا هذه السلطة؛ ولا يوجد مكان لخدمة فردية منعزلة. وفي العمل الروحي، يجب أن يعمل الجميع متعاونين. لقد كان ناداب وأبيهو غير متعاونين مع هرون، وبالتالي غير متعاونين مع الله، وكان يجب عليهما أن لا يتركا أباهما ويخدما منفصلين. إن الذين يتعدون السلطة تأكلهم النار أمام الله .ورغم أن هرون لم يدرك خطورة هذا الأمر، لكن موسى أدرك ذلك وأنه كان عصيانا ضد سلطان الله. إن كثيرين اليوم يحاولون أن يخدموا الله في استقلالية، ولم يخضعوا مرة تحت أي سلطان، ويخطئون غير متعمدين ضد سلطان الله.

(4) كلام هرون ومريم (عد12)

كان كل من هرون ومريم أكبر سناً من موسى، ولهذا فإن موسى كان خاضعاً لهما في البيت، ولكن في دعوة الله وعمله، كان عليهما أن يخضعا لموسى. لقد غضبا من المرأة الكوشية التي تزوجها موسى، وقالا "**هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ (يهوه) مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟**" (عد 12: 2) كانت هذه الكوشية من أفريقيا ومن نسل حام. أما مريم فباعتبارها الأخت الكبرى، استطاعت أن تؤنب موسى أخاها على أساس العلاقة العائلية، ولكنها عندما فتحت فاها لتشوية سمعة موسى، فقد لمست عمل الله وتحدت مركز موسى. لقد استأمن الله موسى بسلطة مفوضة منه في العمل. وكان خطأ عندما حاول هرون ومريم أن يهاجما مركز موسى على أساس عائلي. إن الله هو الذي اختار موسى لكي يقود شعبه خارج مصر، ومع ذلك، فقد احتقرته مريم، ولهذا غضب الله عليهما. كانت تستطيع أن تتعامل مع أخيها، لكنها لا تستطيع أن تستهين بسلطان الله. إن المشكلة أن كليهما لم يدركا سلطان الله، وبحكم وضعهما الطبيعي، كان لهما قلبان عاصيان. لم يحاول موسى الرد، إذا كان هو السلطان المعيّن من قبل الله، فلا حاجة له أن يدافع عن نفسه. إن كل من استهان بالله، كان عقابه الموت، طالما أن الله أعطاه سلطاناً، عليه إذن الصمت. إن الأسد لا يحتاج إلى حماية لأنه يملك كل السلطان في ذاته. كان موسى قادراً على تمثيل الله في السلطان، لأنه خضع أولاً لسلطان الله، ثم إنه كان وديعاً جداً وحليماً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض. إن السلطان المفوض لموسى، كان سلطان الله، ولا يستطيع أحد أن يسلب سلطاناً معطى من الله. إن كلمات العصيان تصعد إلى السماء ويسمعها الله. عندما أخطأ هرون ومريم ضد موسى، فقد أخطأ ضد الله الذي كان في موسى، ولذلك إشتعل غضب الله ضدهما. عندما يلمس إنسان سلطاناً مفوضاً من الله، فإنه يلمس الله الذي في داخل هذا الإنسان.

السلطان اختيار إلهي وليس تحصيلاً بشرياً

لقد دعا الله ثلاثتهم إلى خيمة الاجتماع، وتوجه هرون ومريم بلا تردد، لأنهما اعتقدا أن الله سيقف في جانبهما، ولأن لديهما الكثير لكي يقولاه للرب عما سببه موسى من مشاكل عائلية نتيجة زواجه بالمرأة الكوشية. لكن الله أعلن أن موسى خادمه كان أميناً في كل بيته، فكيف لا يخشيان أن يتكلما على عبده؟ أن السلطان الروحي ليس أمراً يناله الفرد الاجتهاد، ولكنه عطية من الله لمن يختاره هو. وهنا الفرق الكبير بين الروحي وبين الطبيعي. الله نفسه هو السلطان، وهنا يلزم الحذر الشديد. إن من يتكلم ضد موسى يتكلم ضد مختار الله، وعلينا أن لا نحتقر أبداً آنية يختارها الله.

ظهر العصيان في البرص

لقد حمى غضب الرب عليهما، وارتفعت السحابة عن الخيمة، وهكذا فقدوا حضور الله، وفي الحال أصبحت مريم برصاء كالثلج. لم يتم هذا البرص نتيجة تلامس معدي، بل كان واضحاً أنه تأديب من الله، وأن تصبح مريم برصاء أفضل من كونها كوشية على أي حال. لقد ظهر عصيان مريم الداخلي، في برصها الخارجي، وكان لابد من عزلها عن الباقين. عندما رأي هرون مريم برصاء، توسل لموسى أن يتوسط ويصلي من أجل شفائها. وقال الله أن تُحجز سبعة أيام وتُعطلت رحلة الشعب. إذا وجد عصيان في وسطنا أو ذم، فسوف نفقد حضور الله وسوف لا تتحرك الخيمة الأرضية، ولن تعود سحابة الرب للنزول إلا بعد التعامل السليم مع كلمات العصيان والسب.

الخضوع لممثلي السلطة

كثيرون يعتبرون أنفسهم مُطيعين لله، بينما هم واقعيا لا يعلمون شيئاً عن الخضوع للسلطان المفوض من الله. إن المطيع الحقيقي سوف يجد سلطان الله في كل مناسبة في البيت، وفي أماكن أخرى. لقد سأل الله "**فَلِمَاذَا لاَ تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟**" لأن كلامهما كان برهاناً على روح العصيان في داخلهما. يجب أن نخشى الله ولا نتكلم عفوياً. يوجد اليوم الذين يتكلمون ضد الشيوخ في الكنيسة أو ضد آخرين فوقهم، ولا يدركون عواقب كلامهم هكذا، لأنه يلمس السلطة المفوضة من الله، وسوف نكتشف مقدار الخطأ ضد الله وسوف نرى الخطية كما يراها الله. إن الخطية التي يدينها الله، هي العصيان ضد الإنسان.

(5) عصيان قورح، وداثان، وأبيرام عصيان جماعي

كان قورح وجماعته ينتمون لسبط لاوي (عد16) وقد اجتمعوا مع مائتين وخمسين قائداً من الجماعة للتمرد على موسى وهرون، وقالوا هما:

"كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟" (عد 3:16) لم يحترموا موسى وهرون وربما كانوا صادقين فيما قالوا، لكنهم فشلوا أن يروا سلطان الله واعتبروا أن الأمر مشكلة شخصية، كما أنه لا توجد سلطة وسط شعب الله، ولم يتذكروا علاقة موسى بالله ولا أمر الله له. وبالرغم من هذه الاتهامات الخطيرة، ولم يغضب موسى ولا فقد أعصابه، لكنه سقط بوجهه على الأرض أمام الله. وبما أن السلطان هو من الله، فلم يستخدم أي سلطة ولم يفعل شيئاً لأجل نفسه، بل أخبر قورح وجماعته أن ينتظروا إلى الصباح التالي عندما يظهر الرب الذي له ومن هو المقدس. وهكذا رد بروح صائبة الروح المخطئة. كان ما قاله قورح ومجموعته، مبنياً على المنطق والتخمين، ومع ذلك قال موسى **"غداً يعلن الرب من هو له ومن المقدس حتى يقربه إليه"**، وإن المسألة لا تخص موسى بل الله. لقد ظن الشعب أنهم يقاومون موسى وهرون فقط، دون أن يقصدوا أن يكونوا معاندين لله، لأنهم كانوا مستعدين لخدمته بعد. كان إحتقارهم موجهاً فقط لموسى وهرون. يبدوا أن الله، وسلطانه المرتب منه، لا ينفصلان. وكان مستحيلاً الاحتفاظ بموقف معيَّن تجاه الله، وبموقف آخر تجاه موسى وهرون. لا يستطيع أحد أن يرفض سلطان الله بيد واحدة، ثم يمد اليد الأخرى لله في الوقت ذاته. وإذا خضعوا لسلطان موسى وهرون، فكأنهم خضعوا لله. لم يرتفع موسى عليهم بسبب السلطان المعطى له من الله، بل بالعكس إتضع تحت سلطان الله وأجاب بحلمه: **"خذوا لكم مجاهر... واجعلوا فيها ناراً... فالرجل الذي يختاره الرب هو المقدس"**. ولأن موسى كان رجلاً ناضجاً، فقد تنبأ بالنتيجة، وتنهد قائلاً: **"كفاكم يابني لاوي... أَقَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَنَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ أَفْرَزَكُمْ مِنْ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ لِيُقَرِّبَكُمْ إِلَيْهِ لِكَيْ تَعْمَلُوا خِدْمَةَ مَسْكَنِ الرَّبِّ... إذن أنت وكل جماعتك متفقون عليّ (ضد) الرب"**. لم يحضر دوثان وأبيرام حتى هذه اللحظة، بل تذمروا وقالا **"أَقَلِيلٌ أَنَّكَ أَصْعَدْتَنَا مِنْ أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً (مصر) ..هل تقلع أعين هؤلاء القوم؟"**. لقد كان موقفهما أكثر عصياناً، ولم يؤمنا بوعد الرب.

مسح الله العصيان من شعبه

فَاغْتَاظَ مُوسَى جِدًّا وَقَالَ لِلرَّبِّ: "لاَ تَلْتَفِتْ إِلَى تَقْدِمَتِهِمَا. حِمَارًا وَاحِدًا لَمْ آخُذْ مِنْهُمْ، وَلاَ أَسَأْتُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ" (عد 16: 15)، وبدلاً من أن يتحدث معهما صلى إلى الله. كم من المرات يكون

عصيان الإنسان هو المحرك لقضاء يد الله لقد جرب الإسرائيليون الله عشر مرات، ولم يؤمنوا به خمس مرات، واحتمل الله وغفر، لكن عصيان هذه المرة استدعى القضاء، وكان الله على وشك أن يفني كل الجماعة في لحظة "**افْتَرِزَا مِنْ بَيْنِ هذِهِ الْجَمَاعَةِ فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ فِي لَحْظَةٍ**" (عد 16: 21)، أي يمحو العصيان من بين شعبه. لكن موسى وهرون "فَخَرَّا عَلَى وَجْهَيْهِمَا وَقَالاَ: "**اللَّهُمَّ، إِلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ، هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ؟**" (عد 16: 22) استجاب الله لصلاتهما ولكنه أدان قورح وجماعته. إن السلطة التي أقامها الله، هي الشخص الذي يجب أن يسمع له الشعب، ولقد شهد الله نفسه أمام بني إسرائيل أنه يقبل كلام موسى. إن العصيان هو مبدأ جهنمي، ولما عصى هؤلاء، "**فَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ، فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ الأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ**" (عد 16: 32،33) إن أبواب الجحيم لا تقوى على الكنيسة، لكن روح العصيان تستطيع أن تفتح هذه الأبواب. إن من بين الأسباب التي تمنع الكنيسة من السيادة، هو وجود روح العصيان داخلها. إن المطيع هو الوحيد الذي يستطيع غلق أبواب الهاوية وإطلاق الحياة.

المطيع يحكمه الإيمان وليس المنطق

لم تكن شكوى الشعب أن موسى لم يأت بهم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، بلا سبب، لأنهم كانوا لا يزالون في البرية، ولكن ليتنا نلاحظ أن الذي يسلك بالمنطق والعيان يسلك طريق العقل، أمّا الذي يطيع السلطان فيدخل كنعان بالإيمان. لا أحد يتبع المنطق، يستطيع أن يسير في الطريق الروحي، لأنه فوق المنطق البشري. لكن المؤمن فقط هو الذي يتمتع بالبركات الروحية، وبالإيمان يقبل عمود السحاب، ونار الله، وقيادته ممثلة كما في موسى. إن الأرض تفتح فاها لسرعة سقوط العاصين إلى الهاوية، إذ هم مسافرون في طريق الموت. إن عينى العاصي حادة النظر، لكنه للأسف لا يرى سوى البرية القاحلة. إن الذين يسلكون بالإيمان، قد يبدون مثل العميان لأنهم لا يلاحظون الجدب أمامهم، لكن عيون إيمانهم ترى الوعد الأفضل أمامهم، وهكذا يدخلون كنعان. ولذلك يجب على البشر أن يكونوا تحت قيادة سلطان اللة وتعلم الانقياد تحت السلطة التفويضية من الله. وبالاختصار، إن السلطة ليس مسألة تعليمات خارجية ولكنه إعلان داخلي.

عدوى التمرد

يوجد نوعان من العصيان في سفر العدد الأصحاح السادس عشر، "**وَأَخَذَ قُورَحُ بْنُ يِصْهَارَ بْنِ قَهَاتَ بْنِ لاَوِي، وَدَاثَانُ وَأَبِيرَامُ ابْنَا أَلِيآبَ، وَأُونُ بْنُ فَالَتَ، بَنُو رَأُوبَيْنَ، يُقَاوِمُونَ مُوسَى مَعَ أُنَاسٍ مِنْ**

بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ مَدْعُوِّينَ لِلاجْتِمَاعِ ذَوِي اسْمٍ. فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: "كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟".فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ" (عد16: 1-4) كان القادة هم المتمردون، ومن الآية "**فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْغَدِ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلِينَ: "أَنْتُمَا قَدْ قَتَلْتُمَا شَعْبَ الرَّبِّ"**. وَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ انْصَرَفَا إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَإِذَا هِيَ قَدْ غَطَّتْهَا السَّحَابَةُ وَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ. فَجَاءَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: "**اِطْلَعَا مِنْ وَسَطِ هذِهِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ بِلَحْظَةٍ". فَخَرَّا عَلَى وَجْهَيْهِمَا. ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: "خُذِ الْمِجْمَرَةَ وَاجْعَلْ فِيهَا نَارًا مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَضَعْ بَخُورًا، وَاذْهَبْ بِهَا مُسْرِعًا إِلَى الْجَمَاعَةِ وَكَفِّرْ عَنْهُمْ، لأَنَّ السَّخَطَ قَدْ خَرَجَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. قَدِ ابْتَدَأَ الْوَبَأُ". فَأَخَذَ هَارُونُ كَمَا قَالَ مُوسَى، وَرَكَضَ إِلَى وَسَطِ الْجَمَاعَةِ، وَإِذَا الْوَبَأُ قَدِ ابْتَدَأَ فِي الشَّعْبِ. فَوَضَعَ الْبَخُورَ وَكَفَّرَ عَنِ الشَّعْبِ. وَوَقَفَ بَيْنَ الْمَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ. فَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَإِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةٍ، عَدَا الَّذِينَ مَاتُوا بِسَبَبِ قُورَحَ. ثُمَّ رَجَعَ هَارُونُ إِلَى مُوسَى إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَالْوَبَأُ قَدِ امْتَنَعَ"**(عد16: 41-50) ظهر تمرد الجماعة، وهكذا تكون روح العصيان معدية للغاية.

إن الحكم على المائتين والخمسين لم يردع الشعب، بل إستمروا في عصيانهم، واتهموا موسى بقتل قادتهم، مع أن موسى وهرون لم يأمروا الأرض أن تفتح فاها! لكن الله هو الذي أمر بذلك. ولم يطلب موسى ناراً لكي تحرق العاصين! ولكنها أتت من عند الله. إن العيون البشرية ترى الناس فقط، وهم لا يعلمون أن السلطان يأتي من الله. لقد كان هؤلاء الناس في منتهى الجرأة رغم أنهم شاهدوا قضاء الله على المتمردين. إن الجهل بالسلطان أمر خطير جداً. عندما اجتمع كل الجماعة ضد موسى وهرون، ظهر مجد الرب. وكان هذا برهانا على أن السلطان من الله، وقد ابتدأ الرب في القضاء وحدث الوبأ ومات 14700 فرد منهم. ولكن مشاعر موسى كانت سامية، فقد طلب أن يُبخّر هرون على الفور ويكفر عن الجماعة "**فَأَخَذَ هَارُونُ كَمَا قَالَ مُوسَى، وَرَكَضَ إِلَى وَسَطِ الْجَمَاعَةِ، وَإِذَا الْوَبَأُ قَدِ ابْتَدَأَ فِي الشَّعْبِ. فَوَضَعَ الْبَخُورَ وَكَفَّرَ عَنِ الشَّعْبِ"** (عد 16: 47) وهكذا إمتنع الوبأ. لقد إستطاع الله أن يتحمل تذمرات الشعب في البرية عشر مرات، لكنه لم يسمح هم بمقاومة سطانه. هناك خطايا كثيرة يتحملها الله ويصبر عليها، ماعدا العصيان، لأنه مبدأ الموت ومبدأ الشيطان، ولذلك فإن خطية العصيان أخطر من أية خطية أخرى. وعندما يقاوم الإنسان سلطان الله، يأتي القضاء فوراً.

4. معرفة داود للسلطان

فَقَالَ لِرِجَالِهِ: "حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي، بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ" (1صم 24: 6)

"حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ! وَالآنَ فَخُذِ الرُّمْحَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ وَكُوزَ الْمَاءِ وَهَلُمَّ" (1صم 26 :11)

فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: "كَيْفَ لَمْ تَخَفْ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتُهْلِكَ مَسِيحَ الرَّبِّ؟" (2 صم 1: 14)

لم يسع داود إلى العرش بالعصيان

بعدما دخل بنو إسرائيل كنعان، طلبوا من الله ملكاً، فأرسل الله صموئيل لكي يمسح شاول أول ملك عليهم. لقد اختاره الله كسلطان مفوض منه. ولكنه للأسف عصى سلطان الله، عندما عفا عن ملك عماليق وعن خيار الغنم إذ رآها جيدة. وبما أن ذلك عصيان لكلام الله، فقد رفضه الله ومسح داود، ولكن داود كان لا يزال رجلاً تحت سلطان شاول، ومحسوباً ضمن شعبه، وفي قائمة جيشه. ذهب شاول ساعياً وراء داود في برية جدي، وفي الطريق دخل مغارة كان داود ورجاله في الجزء الداخلي منها. اقترح رجال داود أنه يقتل شاول، لكن داود قاوم هذا الإغراء لأنه لم يجسر أن يرفع يده ضد السلطان. ألم يكن داود ممسوحاً من الله ليجلس على العرش؟ وطالما أن داود كان يقف مباشرة في خطة الله وإرادته، فمن يمنعه أن يصبح ملكاً؟ أليس من الأفضل مساعدة الله لإنجاز مشيئته؟ أما داود فقد أحس أنه لا يجب أن يقتل شاول، لأن ذلك عصيان ضد سلطان الله، إذ أن المسحة كانت لا تزال على شاول، وبالرغم من رفضه لكنه مسيح الرب. لو أن شاول قُتل في ذلك الوقت، لصعد داود فوراً على العرش ولما تأخرت إرادة الله عدة سنوات. لكن داود كان رجلاً يعرف كيفية إنكار نفسه وفضّل أن يؤخر ملكه على أن يكون عاصياً؛ ولهذا السبب أصبح في النهاية السلطة المنتدبة من الله. بما أن الله قد أقام ملكاً، ووضع داود تحت سلطانه، فسوف يدفع داود ثمن العصيان لو أنه وصل إلى العرش بقتل شاول. كان سوف يصبح عاصياً، وهذا الذي لم يتجاسر عليه داود. إن المبدأ المتضمن هنا يشبه ما قام به ميخائيل رئيس الملائكة ضد إبليس (يهوذا 9) وهكذا نرى أن السلطان له تطبيقات عميقة.

الطاعة أسمى من العمل

إذا أراد الناس أن يخدموا الله، فالخضوع للسلطان يكون ضرورة مطلقة؛ والطاعة تتفوق على

العمل. لو أن داود حكم المملكة ولكن فشل في الخضوع لسلطان الله لكان بلا فائدة مثل شاول. إن مبدأ العصيان موجود في شاول العهد القديم وفي يهوذا العهد الجديد، فالأول عفا عن خيار الغنم والثيران والثاني اشتهى الفضة. إن التكريس لا يغطي خطية العصيان. لم يتجاسر داود أن يقتل شاول بيده لكي يُعجّل بخطة الله، بل انتظر عمل الله في طاعة تامة. وحتى عندما قطع طرف جبة شاول، ضربه قلبه. كان إحساس داود الروحي، مشابهاً لمؤمني العهد الجديد. يجب علينا اليوم لا أن ندين مجرد القتل، بل قطع جزء من اللباس ولو بسكين صغيرة، لأنه أيضاً عصيان .إن الاغتياب، أو السلوك، أو المقاومة الداخلية، ربما لا يعتبر قتلاً، لكنه يمثل تماماً قطع الجبة؛ وهذه كلها تنشأ من روح العصيان. كان داود يعلم سلطان الله في قلبه، ورغم تعقب شاول له مراراً، إلا أنه استمر خاضعاً لسلطان الله. لقد دعا شاول "سيدي" و"مسيح الرب"، وهذا يعلن حقيقة مهمة، وهي أن الخضوع للسلطان، ليس خضوعاً لشخص، بل خضوع للمسحة التي على هذا الشخص، وهي المسحة التي ناها من الله كسلطان مرتب منه. ولذلك فضّل داود أن يهرب لحياته، من أن يمد يده لقتل شاول. صحيح أن شاول عصى الله ولذلك رفضه، إلا أن ذلك مسأله كانت بين الله وبين شاول، أما مسئولية داود أمام الله، كانت هي الخضوع لمسيح الرب.

احتفظ داود بسلطان الله

تكررت تجربة قتل شاول في برية زيف، وأراد أبيشاي أن يقتل شاول، لكن داود منعه بقسم قائلاً: "**فَمَنِ الَّذِي يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ وَيَتَبَرَّأُ؟**" (1 صم 26: 9) ، وهكذا تم إنقاذ شاول للمرة الثانية، وأخذ داود الرمح وكأس الماء وهذا تقدم كبير بالنسبة للمرة السابقة، لأنه لم يمد يده إلى جسد شاول أو ما يتصل به. لقد فضل داود أن يستمر محافظاً على سلطان الله، من أن ينقذ حياته الشخصية. نقرأ في (1صم 31) و(2صم 1) أن شاول حاول الانتحار بمساعدة شاب عماليقي، وقد سعى هذا الأخير إلى داود متوقعاً مكافأة. لكن موقف داود كان لا يزال منكراً لذاته وخاضعاً لسلطان الله، وقال للشاب "**فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: كَيْفَ لَمْ تَخَفْ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتُهْلِكَ مَسِيحَ الرَّبِّ؟**"(2صم 1 :14) ثم أمر الغلمان بقتل ذلك المخبر. لهذا السبب، قال الله إن داود رجل حسب قلبه. إن مملكة داود مستمرة حتى الآن (روحياً)، وكان الرب من نسل داود. إن الذين يخضعون للسلطان، هم فقط الذين يتمتعون بالسلطان، وهذا أمر في غاية الأهمية، وعلينا أن نستأصل كل جذور العصيان من داخلنا. ولابد من خضوعنا للسلطان، قبل أن نمارس نحن أي سلطان. إن الكنيسة موجودة لأجل الطاعة، وهي لا تخاف من الضعفاء، بل من العصاة. يجب علينا أن نُخضع نفوسنا لسلطان الله في داخل قلوبنا حتى تتبارك الكنيسة؛ وهذا هو مستقبل الكنيسة.

5. طاعة الإبن

"فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً ِللهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ" (في 2: 5- 11)

"الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ" (عب 5: 7- 9)

الرب مصدر الطاعة

يخبرنا الكتاب المقدس أن الرب يسوع والله الآب، هما واحد. في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله. وبالكلمة تم عمل السماء والأرض. إن مجد الله منذ البدء، والمجد الذي لا يُدنى منه، هو أيضاً مجد الابن. إن الآب والابن موجودان بالتساوي في القوة والجوهر، ولكن الاختلاف في الأقنومية فقط، وهو إختلاف ليس جوهرياً ولكنه مجرد ترتيب داخل اللاهوت. ولذلك يقول الكتاب إن الابن لم يحسب نفسه معادلاً لله، وكأن ذلك اختلاس (اغتصاب) بل هو حقه لأنه "في صورة الله" منذ الأزل. إن الأعداد **"فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً ِللهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ"** (في 2: 5- 7) يعتبر جزءاً بخلاف جزء آخر يليه **"وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ"** (في 2: 8- 11) ، وفي كليهما نرى ربنا يسوع وقد إتضع مرتين: الأولى في إخلاء نفسه لاهوتياً، والثانية في تواضعه ناسوتياً. عندما أتى يسوع إلى هذا العالم، فقد أخلى نفسه من مجده وقوته ووضعه وشكل لاهوته، حتى أن أحداً من الناس لم يدركه كإله، إلا من خلال إعلان خاص. ولذلك عاملوه كإنسان عادي في هذا العالم. إنه كالابن قد خضع إرادياً لسلطان الآب وأعلن أن الآب أعظم منه **"سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ :أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ**

تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي" (يو 14: 28) وهكذا يوجد إنسجام تام في اللاهوت. لقد أخذ الله الآب مكان الرأس وإستجاب الابن بالطاعة، فصار الله الآب رمزاً للسلطان والله الابن رمزاً للطاعة. إن الطاعة تتطلب قدراً ضئيلاً من التواضع. أما الطاعة بالنسبة للسيد المسيح، فليست بهذه البساطة، وربما كانت أصعب بالنسبة له، من خلق السموات والأرض! لماذا؟ لأنه كان عليه أن يخلي نفسه من كل المجد وكل القوة اللتين له بحكم لاهوته، ثم اتخاذ هيئة العبد قبل أن يتأهل للطاعة. وهذا فإن الابن هو مبدئ الطاعة. الابن في الأصل مشارك للآب في المجد وفي السلطان، ولكنه في مجيئه إلى العالم، ترك السلطان من جانب واحد، ومن الجانب الآخر اتخذ الطاعة. لقد اتخذ بإرادته مكان عبد وتقبّل محدودية البشر في الزمان والمكان؛ ثم تواضع أكثر وأطاع حتى الموت. إن الطاعة داخل اللاهوت، هي أجمل منظر في كل الكون وبما أن السيد المسيح أطاع حتى الموت، لذلك رفعه الله جداً، ذلك لأن الله يرفع المتضعين، وهذا مبدأ إلهي.

الإمتلاء بالمسيح هو إمتلاء بالطاعة

بما أن الرب يسوع هو مبدئ الطاعة ومنشؤها، فقد أصبح الله الآب هو رأس المسيح. وبما أن السلطان والطاعة من وضع الله، فمن الطبيعي أن الذي يعرف الله والمسيح عليه أن يطيع، أما الذين لا يعرفون الله ولا المسيح، فإنهم لا يعرفون السلطان ولا الطاعة. إن المسيح هو أساس الطاعة، ومن يقبل المسيح يقبل مبدأ الطاعة، ومن ثم فالشخص المملوء بالمسيح، يجب أن يكون مملوءاً بالطاعة أيضاً. كثيرون يسألون اليوم: "لماذا أطيع؟ وبما أننا أخوان، فلماذا أطيعك أنا؟". إن الرب وحده هو المؤهل لهذا السؤال، وليس البشر، وبالرغم من ذلك لم يقل قط مثل هذا الكلام، كما لم يدخل هذا الفكر أبداً في عقله. إن السيد المسيح مثال الطاعة، وهي كاملة مثل سلطان الله الكامل. ليت الله يرحم أولئك الذين يدعون أنهم يعرفون السلطان، بينما يفتقدون الطاعة في حياتهم.

طريق الرب

إن الآب والابن متساويان لاهوتياً، ولكن ربوبية المسيح كانت من الآب بعدما أخلى الابن ذاته الآب هو مصدر اللاهوت لأن هذا هو جوهره الطبيعي، وربوبية الابن قد صارت له بسبب ما عمله. لقد رفعه الله و عظمه بعدما ترك مجده وإستمر في دور الطاعة الكاملة. إنه – أي السيد المسيح – الله في ذاته، ولكن بالنسبة للمكافأة، هو رب، وهذه الربوبية لم توجد أصلاً في اللاهوت

"وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ"(في 2: 11) ما أصعب تفسير الجزء الوارد في الرسالة إلى أهل فيلبي الأصحاح الثاني، ذلك لأنه يحمل جدلاً وقداسة كبيرين؛ ودعونا نخلع أحذيتنا ونقف على أرض مقدسة بينما نراجع هذا الجزء الكتابي. يبدوا أنه تمت مشورة داخل اللاهوت منذ البدء. لقد وضع الله خطة لخلق الكون وإتفق اللاهوت في هذه الخطة أن تكون السلطة ممثلة في الآب. لكن السلطة لا تثبت في الكون بدون طاعة، ولا وجود لسلطة بدون طاعة؛ ولذلك يجب على الله أن يجد طاعة في الكون، فكان خلق مجموعتين من الأحياء وهما الملائكة (الأرواح) والبشر (النفوس). وبحكم علم الله السابق، فقد رأى الله مقدماً عصيان الملائكة، وسقوط الإنسان، ومن ثم لم يستطيع تأسيس سلطانه على الملائكة أو على بني آدم، ونتيجة لذلك صار القرار بنفس واحدة في اللاهوت، أن تتم طاعة السلطان بواسطة الابن. ومن هنا صارت العمليات المميزة بين الآب وبين الابن. وذات يوم، أخلى الله الابن نفسه وولد في شبه الناس، وصار مثال الطاعة. وبما أن العصيان جاء من كائنات مخلوقة، هكذا الطاعة يجب أن تتأسس الآن في كائن مخلوق. لقد أخطأ الإنسان وعصى، ولذلك يجب إقامة سلطان الله على طاعة الإنسان. وهذا يشرح سبب إتيان الرب إلى العالم وصار مثل إنسان. إن ميلاد الرب يسوع، هو في الحقيقة مجيء إلهي، فبدلاً من إستمراره إلهاً له سلطان، فقد أتى إلى جانب الإنسان، وقبل كل قيود الإنسان آخذاً صورة عبد. كان هناك سبيلان لعودة الرب إلى مجده: سبيل الطاعة المطلقة وبلا تحفظ كإنسان، مؤسساً سلطان الله في كل شيء وعلى كل الأحوال دون أدنى أثر للعصيان، وهكذا خطوة بعد خطوة من خلال الطاعة لله يصبح رباً على الكل. أما السبيل الآخر، فهو دفع طريق عودته بالإعلان وبالاستخدام لسلطان لاهوته وقوته ومجده بسبب إستحاله وجود الطاعة من خلال ضعف الجسد البشري ومحدوديته وقيوده.

لقد نبذ الرب يسوع السبيل الأخير، وسلك باتضاع في طريق الطاعة.. وحتى الموت. إنه عندما أخلى نفسه، فقد رفض أن يملأ نفسه مرة أخرى. ولو كان الرب قد فشل في طريق الطاعة، لما استطاع أن يعود ثانية بالمجد، ولكنه عاد كإنسان مُطيع طاعة كاملة ومُتفردة برغم ما لاقاه من آلام. وبناء عليه، قد عظمه الله وجعله رباً عندما عاد إلى المجد. لم يكن هو الذي ملأ نفسه مما أخلاه منها سابقاً، ولكن بالحري كان الله ألآب الذي فعل ذلك. الآب هو الذي جاء بهذا الإنسان ثانية إلى

المجد. ولذلك فإن أسم يسوع هو الأسمى ولا شبيه له في الكون. عندما صاح على الصليب قائلاً قد أُكمل، فقد أعلن ليس فقط إتمام الخلاص، بل أيضاً تحقيق كل ما كان يعنيه اسمه؛ ولذلك حصل على أسم فوق كل أسم، وسوف تجثو أمام أسمه كل ركبة، وسوف يعترف كل لسان أن يسوع رب. ومن ذلك الحين فصاعداً، هو رب وهو الله. إن ربوبيته تتحدث عن علاقته بالله، والمكافأة التي نالها منه؛ وكونه المسيح يعلن عن علاقته بالكنيسة. وللإيجاز نقول، عندما ترك الابن مجده، لم يعتزم العودة على أساس صفاته الإلهية، بل على العكس، أراد أن يتم تعظيمه كإنسان. وبهذا الشكل، أكد الله مبدأ الطاعة. إنه من الضروري علينا أن نكون في كامل الطاعة دون أدنى ذرة من العصيان. لقد عاد الابن إلى السماء كإنسان وقد عظمه الله بعدما أطاع في شبه الناس. ليتنا نتقدم نحو هذا السر العظيم في كتابنا المقدس. عندما ودّع المجد ولبس جسداً بشرياً، فقد كان عازماً ألا يعود بفضل صفاته الإلهية. ولأنه لم يظهر قط أدنى بيان للعصيان، فقد عظمه الله على أساس إتضاعه. عندما تنازل الرب يسوع، وضع مجده جانباً، ولما عاد، لم يسترجع فقط ذلك المجد، بل نال مجداً أعظم. دعونا إذن نضع هذا الفكر الذي كان في المسيح يسوع، ودعونا نسلك في طريقه ولنتمسك بالطاعة كمبدأ في حياتنا. دعونا نخضع بعضنا لبعض وعندما ندرك هذا المبدأ، سوف نعلم أنه لا توجد خطة أخطر من العصيان، ولا شيء أكثر أهمية من الطاعة. إننا نخدم الله على أساس الطاعة فقط، وعندما نطيع مثل المسيح نفسه، نستطيع أن نؤكد مبدأ سلطان الله، وأن العصيان هو من عمل إبليس.

تعليم الطاعة من خلال الألم

يقول الكتاب عن المسيح **"مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ"** (عب 8:5) أي أن الألم جعله مطيعاً لله. ونلاحظ هنا أنه لم يأت بالطاعة إلى الأرض، لكنه تعلمها من خلال الألم. عندما يصادفنا الألم، فعندئذ نتعلم الطاعة. ولعل الفائدة لا تتحدد بمدى الألم من عدمه، ولكن بمقدار ما نتعلمه عن الطاعة، والمطيعون هم فقط المفيدون لله. الخلاص يجعل الناس مطيعين ومسرورين، وإذا سعينا نحو السرور فقط، فإننا لن نصبح أغنياء روحياً، أما المطيعون فهم الذين سوف يختبرون غنى الخلاص. إن الله يخلّصنا، حتى ما نطيع إرادته. وعندما نمتثل لسلطان الله، سوف نكتشف سهولة الطاعة وبساطة مشيئة الله، ذلك لأن الرب نفسه كان مطيعاً دائماً وقد أعطانا حياة الطاعة هذه.

6. إقامة ملكوت الله

"مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ" (عب 5: 8 ، 9)

"وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ" (أع 5: 32)

"لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ، لأَنَّ إِشَعْيَاءَ يَقُولُ:"يَارَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟" (رو 10: 16)

"فِي نَارِ لَهِيبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (2تس 1: 8)

"طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (1بط 1: 22)

الرب تعلّم الطاعة خلال الألم

كما أكد الله مبدأ الطاعة خلال حياة ربنا يسوع، فإنه هكذا أيضاً أقام سلطانه خلال الرب نفسه. دعونا الآن نرى كيف يثبّت الله مملكته على أساس هذا السلطان. لقد أتى ربنا إلى هذا العالم خاوي اليدين فلم يأت بالطاعة معه، لكنه تعلمها خلال ما تألم به، وهكذا صار سبب (مصدر) خلاص أبدي لكل الذين يطيعونه. لقد اجتاز ألماً بعد ألم فتعلّم الطاعة حتى الموت موت الصليب. عندما أخلى الرب نفسه من المجد وأصبح إنساناً بحق، فقد أضحى ضعيفاً وقابلاً للألم؛ وكل ألم تحمله، قد أثمر للطاعة، ولم يدفعه قط للتذمر أو الاضطراب. ما أبعد الفرق بين ذاك وبين المؤمنين الذين يفشلون في تعلّم الطاعة رغم مرور السنين، ورغم أن آلامهم تزداد إلا أن طاعتهم لا تزداد، وحالما يتألمون فإنهم يتذمرون بغضب، مما يبيّن أيضاً أنهم لم يتعلموا بعد الطاعة. وحيث إن ربنا قد اجتاز كل أنواع الألم، لذلك أظهر باستمرار روح الطاعة، وهكذا صار مصدر خلاصنا الأبدي. وبإطاعة الواحد نال كثيرون نعمة. إن طاعة ربنا هي من أجل مملكة الله.

الله سوف يثبّت مملكته

هل لاحظت كيف أن سقوط الملائكة والإنسان، قد أثّر على الكون كله وخلق مشكلة كبرى لله؟ كان قصد الله أن كل الكائنات التي خلقها سوف تقبل سلطانه لكنها رفضت هذا السلطان، ومع هذا لم يسحب الله سلطانه، وربما يسحب حضوره، لكنه لم يتخلَّ عن سلطانه، كما أنشأه. وحيثما

يوجد سلطانه فهناك يكون مكانه الصحيح، ولذلك فإن الله يؤكد سلطانه من جهة، ومن الجهة الأخرى يثبت سلطانه ورغم أن إبليس يتعدى باستمرار على سلطان الله، ويعصى الإنسان الله يومياً، إلا أن الله لن يسمح بمثل هذا العصيان أن يستمر للأبد، بل سوف يقيم مملكته. لماذا يدعو الكتاب ملكوت الله ملكوت السموات؟ ذلك لأن العصيان لم يكن محدوداً بالأرض فقط، بل امتد ليصل إلى السماء حيث الملائكة العصاة. كيف إذن يقيم الرب ملكوته؟ إنه يقيمه من خلال طاعته، فلم يحدث قط أنه عصى الله، ولم يقاوم ولو مرة واحدة سلطان الله عندما كان الله على الأرض. لقد أسس ملكوت الله خلال نطاق طاعته الكاملة وسماحه لسيادة سلطان الله المطلق. وكما فعل ربنا، هكذا يجب أن تطيع الكنيسة اليوم، حتى يمتد سلطان الله ويظهر ملكوته.

الله أقام الكنيسة كبداية لملكوته

بعد سقوط آدم، اختار الله نوح وعائلته، ولكنهم سقطوا أيضاً، ولذلك دعا إبراهيم ليكون أباً لجمهور من الأمم بقصد إقامة ملكوته من خلاله. ثم خلف إبراهيم اختيار الله لإسحق ويعقوب، ثم تكاثر نسل يعقوب كثيراً تحت الضيق المصري، ولذلك أرسل الله موسى ليخلّصهم ويحررهم من مصر وحتى يؤسس بهم أمة جديدة. ولكن بسبب وجود عصاة بينهم، فقد قادهم في البرية لكي يعلمهم الطاعة، ومع ذلك أستمروا في عنادهم لله وكانت النتيجة هي موت الجيل كله في الطريق. ورغم نجاح الجيل التالي في دخول كنعان، إلا أنهم لم يصغوا إلى كلمة الله بقلب كامل، ولذلك لم يتمكنوا من طرد الكنعانيين تماماً من الأرض. ثم شاول لأصبح أول ملك، ولكن بسبب عصيانه لم تثبت مملكته. وإلى أن جاء داود المختار من الله، حتى وجده الملك الذي كان بحسب قلبه، لأن داود كان مطيعاً بالتمام لسلطان الله. وحتى ذلك الحين، كانت هناك آثار للعصيان في الشعب. لقد حدد الله أورشليم مكاناً لاسمه، لكن الشعب استمر يذبح في جبعون، وهكذا كانت طاعتهم ضعيفة. لقد كان هم، لكنهم افتقدوا المادة الروحية للمملكة. قبل داود، كانت هناك مملكة ولكن بدون ملك مناسب، وفي زمن داود، كان هناك الملك والمملكة، لكن مع فقدان المادة الروحية، ومن ثم لم تقم حقاً مملكة الله. لقد أتى الرب إلى هذا العالم لكي يقيم مملكة الله. والإنجيل له طبيعة مزدوجة: شخصية ومشتركة. أمّا بالنسبة للطبيعة الشخصية فإنه يدعو البشر لقبول الحياة الأبدية خلال الإيمان؛ وبالنسبة للطبيعة المشتركة، فإنه يأمر البشر أن يدخلوا ملكوت الله خلال التوبة. الله يتطلع نحو ملكوته. وعلى سبيل المثال، الصلاة الربانية، تبدأ وتنتهي بالملكوت. إن ملكوت الله هو النطاق الذي تتم فيه إرادته بلا تردد. أما الملكوت والقوة والمجد فعلاقاتهما متداخلة معاً **"وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ"** (مت 6: 13)

يقول سفر الرؤيا "**وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلهِنَا نَهَاراً وَلَيْلاً**" (رؤ 10:12) وهذا لأن الملكوت هو مجال السلطان: "**وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ**" (لو 17 :21) إن الرب يسوع نفسه هو في الواقع ملكوت الله. عندما يكون الرب يسوع معكم، فإن ملكوت الله يكون في وسطكم، وذلك لأن سلطان الله سائداً بالكامل في حياته. وكما أن ملكوت الله في الرب يسوع، هكذا هو في الكنيسة، لأن حياة الرب منطلقة في الكنيسة وهكذا يمتد ملكوت الله أيضاً في الكنيسة. لقد بدأ الله تدبير الملكوت مع نوح، لكنه كان أرضياً، أما ملكوت الله فقد بدأ بالرب يسوع، ولئن بدأ صغيراً، لكن حبة الحنطة قد حملت ثمراً كثيراً اليوم. إن قصد الله أن نكون نحن ملكوته وكنيسته، لأن الكنيسة مقامة لتكون دائرة ممارسة سلطان الله. إنه يرغب أن يكون له المكان الصحيح في أكثر من أفراد قليلين، أي تعطيه الكنيسة الأولوية المطلقة فيسود سلطانه ولا توجد معصية. وهكذا يقيم الله سلطانه في وسط مخلوقاته. إنه يريدنا أن نكون مطيعين ليس فقط لسلطانه المباشر الذي يمارسه بنفسه، بل أيضاً للسلطات الموكلة بواسطته. إن ما ينتظره الله هو الطاعة الكاملة وليس جزءاً منها.

دعوة الإنجيل للإيمان والطاعة أيضاً

يذكر الكتاب المقدس الطاعة وأيضاً الإيمان، وذلك لأننا لسنا فقط خطاة بل أيضاً أبناء المعصية. "**مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟**" (إش 53: 1) إن "الخبر" هو "الأخبار السارة للإنجيل" والإيمان بها هو الطاعة لها، والذين لا يطيعون هم العصاة وهم الذين ينتظرهم "سخط وغضب" "**وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَزُّبِ، وَلاَ يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ، فَسَخَطٌ وَغَضَبٌ**" (رو 2: 8) ثم كما يقول الرسول بطرس أن التطهير يتم بواسطة طاعة الحق "**طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ**" (1بط 1: 22)، فالإيمان هو الطاعة. أن الاسم المفضل للمؤمنين هو "المطيعون" لأنهم تحت سلطان الرب وعليهم أن يؤمنوا به أيضاً. قال بولس بعدما أستنار "**مَاذَا أَفْعَلُ يَارَبُّ؟**" (أع 22: 10) هو لم يؤمن فحسب، بل خضع أيضاً للرب. لقد كانت توبته نتيجة فهمه للنعمة كما بالطاعة للسلطان. وعندما تحرك بالروح القدس لكي يرى سلطان الإنجيل، دعا يسوع رباً. إن الله يدعونا ليس فقط أن نقبل حياته بالإيمان، بل أيضاً المثول لسلطانه بالطاعة. إنه يشير علينا نحن الذين في الكنيسة أن نطيع السلطات المرتبة منه، في البيت أو المدرسة، أو الكنيسة، ثم الطاعة لسلطانه المباشر؛ وليس ضرورياً تحديد الشخص المعيّن الذي يجب طاعته، ولكن المعنى

ببساطة هو أينما تواجه سلطان الله، المباشر أو الغير المباشر، فإن عليك أن تتعلم الطاعة. كثيرون قادرون أن يسمعوا ويطيعوا شخصاً معيناً، وهذا يعني أنهم لم يروا بعد سلطاناً. إن طاعة الإنسان هي عبث، لكن المهم هو طاعة السلطان. إن الذين يعرفون السلطان، يشعرون بالعصيان عند أقل درجة من عدم الطاعة، أمّا الذين لم يروا سلطاناً، فليس لديهم أية فكرة عن مقدار عصيانهم. لقد كان شاول الطرسوسي يرفس مناخس دون أن يدري، وذلك قبل تجديده، ولكن حالما أستنار كان أول ما شاهدته عيناه هو رؤيته لله، وقد أزداد ذلك في ما بعد، وعندما تقابل مع أخ صغير يدعى حنانيا، لم يسأل إذا كان متعلماً أو عامياً، لأنه لم ينظر إلى إنسان. لقد أدرك أن حنانيا مرسل من الله. وهو بالتالي خضع للسلطان المخول له. نعم ما أسهل الطاعة بعد تعلّم السلطان.

الأمم تصبح ملكوت الله من خلال الكنيسة

لو رفضت الكنيسة سلطان الله، فلا سبيل لله أن يقيم ملكوته. إن طريق الله لحصوله على ملكوته كان أولاً في الرب يسوع، ثم في الكنيسة، وأخيراً في كل العالم. ويوماً ما سوف يصدر بيان يعلن أنه "**قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ**"(رؤ 11:15) إن الكنيسة تحتل المكان بين الملكوت الموجود في شخص الرب يسوع، وبين امتداد هذا الملكوت عندما يصبح العالم ملكوتاً للرب ولمسيحه. إن الملكوت يجب أن يكون أولاً في الرب يسوع قبل أن تأسس في الكنيسة، كما يجب أن يزرع في الكنيسة قبل أن يشمل بقية الأمم وبدون الرب يسوع لا توجد كنيسة، ولا امتداد لملكوت الله بدون الكنيسة. عندما كان الرب بالجسد على الأرض، فقد أطاع حتى في أتفه الأمور، وعلى سبيل المثال، فقد دفع ضريبة الهيكل، والضريبة المدنية، كما أمر: "**أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ**"(مت 22: 21) رغم أن قيصر كان عاصياً، إلا أنه مرتب من الله، ومن ثم يجب طاعته. وبعدما نطيع بالتمام، سوف يقوم ربنا ويتعامل مع الذين لا يطيعون. إنه من خلال طاعتنا، سوف يمتد الملكوت إلى كل الأرض. إننا نحتاج إلى إحساس بالسلطان بالخطية، ونقص الأخير يحرم الفرد من الحياة كمؤمن، ونقص الإحساس بالسلطان لا يؤهله للطاعة.

يجب على الكنيسة أن تطيع سلطان الله

علينا أن نعرف كيفية الطاعة في الكنيسة. لا يوجد سلطان داخل الكنيسة لا يتطلب طاعة. إن قصد الله أن يظهر سلطانه بالتمام في الكنيسة، وأن يمتد ملكوته من خلالها. وبعدما تطيع الكنيسة بالتمام، سوف تخضع كل الأرض لسلطان الله. ولو فشلت الكنيسة أن تجعل سلطان الله يسود داخلها، فإن ملكوته سوف لا يغطى كل الأرض؛ فالكنيسة إذن هي السبيل إلى الملكوت، كما هي

المانع أيضاً له. كيف يظهر ملكوت الله لو لم نستطع أن نخضع لصعوبة صغيرة في الكنيسة؟ وكيف يسود ملكوت الله إذا كنا نناقش ونجادل باستمرار؟ يبدو أننا قد عوقنا كثيراً توقيت الله! يجب استئصال كل عصيان حتى لا يتعطل طريق الله؛ وما أن تطيع الكنيسة بالكامل سوف تتبعها كل الأمم. يا لهول مسئولية الكنيسة! عندما تجد إرادة الله ووصيته طريقها الحر في الكنيسة فإن ملكوته سوف يأتي حتماً.

7. طاعة الإنسان للسلطة المفوضة

السُلطات المرتبة من الله

(1) في العالم

"لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ،وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ" (رو 13: 1)

"فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوُلاَةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ" (1بط 2: 13، 14)

الله هو مصدر كل السلطان في الكون، وبما أن كل السلطات الحاكمة هي منه، فهي إذن مفوضة به لتمثل سلطانه هو. لقد وضع الله هذا النظام لكي يظهر ذاته هو، فأينما يواجه الناس سلطاناً، فكأنهم يتقابلون مع الله. من الممكن أن يعرف الناس الله من خلال حضوره، ولكن حتى بدون حضوره، فإنهم يعرفونه من خلال سلطانه. في جنة عدن، عرف الإنسان الله من خلال حضوره، أو أثناء غيابه، من خلال تذكر وصاياه. أمّا اليوم، فنادراً ما يقابل الناس الله مباشرة في هذا العالم (هذا بالطبع لا ينطبق على الذين هم في الكنيسة والذين يحيون باستمرار في الروح ويعاينون وجه الله). إن أقوى مكان يُظهر الله نفسه فيه اليوم هو في وصاياه. إن أولئك الأغبياء مثل العاملين في الكرم **"ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجًا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ، كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعًا عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: "يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ". وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: "لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هذَا هكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟" فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ:"لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟"** (مر 2: 1– 9) هم فقط الذين يجب أن يتواجد معهم صاحب الكرم حتى يطيعوا، لأنهم عصوا الخدام السابقين والابن وهم ممثلوه. إن الذين أقامهم الله، هم الذين يمارسون سلطانه، وبالتالي يجب طاعتهم. إن كنا لا نعلم سوى سلطان الله المباشر، فربما نتعدى ما يزيد عن نصف سلطانه. وليس لنا أن نختار بين سلطان الله المباشر وبين سلطانه

المفوّض، **"لأنه ليس سلطان إلا من الله"**. بالنسبة للسُلطات الأرضية، فإن الرسول بولس، يحثنا إيجابياً نحو الخضوع، ويحذرنا سلبياً من مقاومتها. إن من يقاوم السلطات يقاوم وصية الله. إن السلطان بحسب الكتاب، يتميّز بطبيعة منفردة، وهي أنه لا سلطان إلا من الله ولا مجال للعصيان بدون دينونة. إن نتيجة مقاومة السلطان هي الموت، ولا خيار للإنسان في موضوع السلطان. في زمن آدم، أعطى الله الإنسان سلطاناً على كل الأرض، وكانت هذه السيادة على كل المخلوقات الحية. وبعد الطوفان، سلّم الله قوة سيادة الإنسان على نظيره إلى نوح وقال له **"سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ"** (تك 9: 6)، ومن ذلك الحين، ظهر سلطان التحكم في الإنسان للإنسان، فأصبحت هناك حكومة بشرية يخضع لها الناس.

بعدما قاد الله شعبه من مصر وإلى البرية، فقد أعطاهم الوصايا العشر وترتيبات متعددة؛ ومن بينها: **"لاَ تَسُبَّ اللهَ، وَلاَ تَلْعَنْ رَئِيسًا فِي شَعْبِكَ"** (خر 22: 28)، وهذا يعني أن الله قد وضعهم تحت حكام. ثم في زمن موسى، كان الإسرائيليون الذين قاوموا السلطان، كانوا في الواقع يقاومون الله. رغم أن حكام الأمم لم يؤمنوا بالله، وكانت دولهم تحت سيادة الشيطان، إلا أن مبدأ السلطة لم يتغير. وكما أن إسرائيل كان يمثل ملكوت الله والملك داود قد أختاره الله، هكذا كان إمبراطور أشور مرتباً من قبل الله. وعندما كان ربنا يسوع على الأرض، كان خاضعاً للسُلطات الحاكمة، وأيضاً لسلطان رئيس الكهنة، فعندما أستحلفه أن يقول إن كان هو حقاً ابن الله، فقد أطاعه مباشرة **"وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: "أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟" قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "أَنْتَ قُلْتَ!وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ"**(مت 26: 63، 64) يخبرنا الرسول بولس أن كل الذين هم سلطان، هم خدام الله (رو 13) ، وعلينا أن نخضع للسلطة المحلية التي نعيش تحتها، كما أيضاً لسلطان الشعب والجنس، ولا يجب معصية السلطة المحلية لأننا من جنسية مختلفة، فالقانون ليس لرعب الصالح بل للسلوك السيئ. إن كل نواميس الأمم مشتقة من ناموس الله، والقاعدة الرئيسية لقوانين الله، هي معاقبة الشر ومكافأة الصالح، وكل القوات لها قوانينها الخاصة والتي تحفظ لها قوة تنفيذها. ورغم الواقع الحاضر أن بعض الأنظمة تُعظم الشرير وتضايق الصالح، ولذلك يلجأون إلى دعوة الشرير صالحاً والصالح شريراً وهكذا يشوّهون الواقع. على أي الأحوال، فإن القاعدة لا تزال قائمة، وقانون الله سائداً، أي مكافأة الصالح ومجازاة الشرير، ولكن سوف يأتي يوم، عندما يسود ضد المسيح وسوف يشوه كل نظام القانون، ويعلن صراحة الصالح شريراً والعكس صحيح، فيموت الصالح ويعلو الشرير.

إن رموز الخضوع للسُلطات الأرضية تتمثل في أربعة أمور وهي: الجزية لمن له الجزية (الضرائب، الجمارك والعوائد)، الخوف (الاحترام) لمن له الخوف، والإكرام (التقدير) لمن له الإكرام. إن المؤمن يطيع القانون لا لكي يتجنب غضب الله بل أيضاً من أجل الضمير ولكي لا يؤنبه ضميره بسبب العصيان. ولا يجب على أولاد الله أن ينتقدوا الحكومة عبثاً ويشجبونها. إن رجال الشرطة في الشوارع مرتبون من قبل الله لأنهم مكلفون بعمل خاص. كلما حاولنا الطاعة، زادت صعوبتها. **"وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ وَرَاءَ الْجَسَدِ فِي شَهْوَةِ النَّجَاسَةِ، وَيَسْتَهِينُونَ بِالسِّيَادَةِ. جَسُورُونَ، مُعْجِبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، لاَ يَرْتَعِبُونَ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى ذَوِي الأَمْجَادِ"** (2بط 2: 10) إن كثيرين يفقدون قوتهم ويسخرون بسبب الشتم أو اللعن، ولا يجب أن ننشغل بكيفية تعامل الله مع الشر، رغم أننا يجب أن نصلّي من أجل سيادة نظام الله البار. وفي كل حال فإن عدم الخضوع للسلطة هو تمرد على الله، وهو مساعدة لمبدأ ضد المسيح.

(2) في العائلة

"أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ، لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ مُخَلِّصُ الْجَسَدِ. وَلكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ، كَذلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (أف 5: 22- 24)

"أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ" (أف 6: 1)

"أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلاَ تَكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لأَنَّ هذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ. أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا .أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ، لاَ بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ بِبَسَاطَةِ الْقَلْبِ، خَائِفِينَ الرَّبَّ" (كو 3: 18- 22)

يضع الله سلطانه في البيت بيد أن كثيرين من أولاده لا ينتبهون كما يجب إلى دائرة العائلة؛ مع أن الرسائل، مثل أفسس وكولوسي، وهما من أكثر الرسائل روحانية، لم تغفل هذا الأمر، وذكرت الخضوع في البيت بصفة خاصة، وبدونه سوف تكون هناك صعوبة في خدمة الله. إن رسالتي تيموثاوس الأولى وتيطس تتعاملان مع موضوع العمل، لكنهما تتحدثان أيضاً عن مشكلة العائلة كعامل مؤثر على العمل. ورسالة بطرس الأولى تركز على الملكوت، إلا أن الرسول يعتبر أيضاً العصيان ضد السلطان العائلي كأنه عصيان ضد الملكوت. وما أن يرى أعضاء العائلة السلطان، فإن صعوبات كثيرة سوف تختفي من البيت. لقد وضع الله الزوج كمفوض لسلطان المسيح، والزوجة

ممثلة للكنيسة ويصعب على الزوجة أن تخضع لزوجها إذا لم تلحظ السلطة المفوضة فيه من الله. إن عليها أن تدرك أن حقيقة الأمر هو سلطان الله وليس زوجها. "**لِكَيْ يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ**" (تي 2: 4، 5)، "**كَذلِكُنَّ أَيَّتُهَا النِّسَاءُ، كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لاَ يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرْبَحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ**" (1بط 3: 1) إن كنا نحترم سلطان الرب في حياتنا، سوف يحترم الآخرون سلطان الرب فينا. وعندما تحدث بولس وبطرس بهذا الكلام كانت العبودية أسوأ ما تكون في الإمبراطورية الرومانية. وسواء كانت العبودية صواباً أو خطأ فليست هذه مشكلتنا اليوم، ولكن يجب أن نرى الله قد وضع أن الخدام يجب أن يطيعوا سيادتهم.

(3) في الكنيسة

"**ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيرًا جِدًّا فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ. سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا**" (1تس 5: 12، 13).

"**أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ**" (1تي 5: 17)

"**وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانَاسَ أَنَّهُمْ بَاكُورَةُ أَخَائِيَةَ، وَقَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِّيسِينَ، كَيْ تَخْضَعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا لِمِثْلِ هؤُلاَءِ، وَكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيَتْعَبُ**" (1كو 16: 15، 16)

يضع الله في الكنيسة سلطات مثل الشيوخ المدبرين حسناً، والذين يتعبون في التعليم والكرازة، وهم الذين يلزم طاعتهم. إن الأصغر يجب أن يتعلم الخضوع للأكبر. لقد حث الرسول مؤمني كورنثوس أن يكرموا أناساً مثل استفاناس لأن عائلته كانت باكورة المتجددين في أخائية وكانت مستعدة لخدمة القديسين بكل تواضع. إن النساء في الكنيسة يخضعن للرجال "**وَلكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُل هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ**" (1كو11: 3) "**لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا. وَلكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا، فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كَنِيسَةٍ**" (1كو 14: 34، 35) تقول بعض الأخوات، إذا فرضنا أن أزواجنا رفضوا إجابة

أسئلتنا فما العمل؟ حسناً، يقول الله لكن أن تسألن، وبعد وقت ما، سوف يجد الأزواج أنهم مجبرون على الإجابة بسبب تكرار السؤال، وهكذا تساعدن أزواجكن وأنفسكن.

لقد أقام الله كذلك سُلطات في العالم الروحي **"وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ وَرَاءَ الْجَسَدِ فِي شَهْوَةِ النَّجَاسَةِ، وَيَسْتَهِينُونَ بِالسِّيَادَةِ. جَسُورُونَ، مُعْجِبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، لاَ يَرْتَعِبُونَ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى ذَوِي الأَمْجَادِ، حَيْثُ مَلاَئِكَةٌ وَهُمْ أَعْظَمُ قُوَّةً وَقُدْرَةً لاَ يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِمْ لَدَى الرَّبِّ حُكْمَ افْتِرَاءٍ"** (2بط 2: 10، 11) وهنا نجد حقيقة في منتهى الأهمية، أن هناك سلطات وذوي أمجاد في العالم الروحي وتحتهم ملائكة معينون؛ ورغم أن بعضهم سقط، لا تجسر الملائكة أن تسبهم لأنهم كانوا سابقاً متقدمين **"وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ:"لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ"** لماذا؟ لأنه في وقت ما، جعل الله لوسيفر رئيس ملائكة، وميخائيل كواحد من الرؤساء كان تحت سلطانه. وفي ما بعد أطاع ميخائيل الله في البحث عن جسد موسى، ربما لأنه يوماً ما سوف يقوم موسى من الأموات، (ربما على جبل التجلي) وعندما أعاق الشيطان ميخائيل، كان في استطاعته أن يتعامل مع العاصي بروح عاصية، وذلك بإهانته أو لعنه، لكنه لم يفعل بل قال "لينتهرك الرب". نقرأ عن مشورة في (أع 15) لقد وقف الصغير والكبير، وأبدى كل واحد رأيه، ولكن بعدما انتهى بطرس وبولس من حديثهما، وقف يعقوب وأعطى القرار إن بطرس وبولس سردا حقائق فقط، لكن يعقوب أصدر الحكم. وحتى بين الشيوخ أو الرسل، كان هناك نظام، وكما قال بولس **"لأَنِّي أَصْغَرُ الرُّسُلِ"** (1كو 15: 9) فبعض الرسل كبار والبعض الآخر صغار، وهذا الترتيب ليس من البشر، وعلى كل واحد أن يعرف مكانه الواقف فيه.

الخضوع بلا خوف للسلطة المفوضة

لقد خاطر الله في إقامة السُلطات! ويا لها من خسارة لله إذا كانت السلطات المفوضة منه لم تمثله حق تمثل! من الأسهل لنا أن نطيع هذه السُلطات بدون خوف طالما أن الله هو الذي عيّنها.

ولم يخف أن يضع ثقته في الإنسان وطالما أن الله كان شجاعاً عندما أقام هذه السُلطات فلنتشجع إذن في طاعتها وإذا حدث ما لا يحمد عقباه، فالخطأ ليس فينا بل في السُلطات، ويقول الرب **"لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ"** (رو 13: 1)

"مَنْ قَبِلَ هذَا الْوَلَدَ بِاسْمِي يَقْبَلُنِي" (لو 9: 48) لا توجد مشكلة لربنا يسوع عندما يمثل الله الآب، لأن الآب يثق فيه، ويدعونا أن نثق فيه كما نثق في الآب. ولكن في عينيّ الرب، هؤلاء الأولاد يمثلونه أيضاً، وهو يؤمن بهم ويحثنا لقبولهم كما نقبله هو. عندما أرسل الرب تلاميذه، قال لهم

"اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (لو 10: 16)، ومهما قال هؤلاء التلاميذ أو قرروا، كان يحسب كأنه من الرب يسوع، وهكذا لم يخف أن يفوض سلطته هم. لقد أدرك كل كلمة تكلموا بها في اسمه، حتى أن الذين رفضوهم كأنهم رفضوه هو. لم يحذر التلاميذ مسبقاً من التحدث العابث، ولم يكن يخشى من أنهم يخطئون، بل كانت له الشجاعة والثقة أن يستأمنهم على سلطانه المخول لهم. أما اليهود فكانوا مختلفين، لأنهم شكوا وسألوا: كيف يكون هذا؟ وكيف نتأكد إن ما تقوله صحيح؟ إنهم لم يتجاسروا على الإيمان وظلوا متخوفين جداً. نفترض أنك رئيس مؤسسة ما، فإذا أرسلت مندوباً خارجاً، فلابد أنك سوف تطلب منه تقريراً يومياً لئلا يخطئ. أما الرب فقد جعلنا مندوبين لهم صلاحية مطلقة، فيا لها من ثقة قد وضعها فينا! فهل تكون ثقتنا أقل، بينما يضع الرب مثل هذه الثقة في سلطانه المفوّض؟ ربما تسأل البعض: ماذا لو كانت السلطة خاطئة؟ والإجابة هي: إذا كان الله قد تجاسر واستأمن الناس على سلطانه، فعندئذ نتجاسر نحن ونطيع. وسواء كان الشخص في السلطة صائباً أو مخطئاً، فهذا لا يخصنا، لأنه مسئول مباشرة أمام الله. إن المُطيع يحتاج فقط أن يطيع، ولن يحاسبنا الله على طاعة خاطئة، لكنه بالحري يحاسب صاحب السلطة على أعماله الخاطئة. إن عدم الخضوع هو في الواقع عصيان، ولذلك فالشخص الذي تحت سلطان ملتزم أمام الله نفسه. واضح إذن، أنه لا يوجد عنصر بشري متضمن في مسألة السلطان. وإذا كان خضوعنا موجهاً فقط نحو إنسان، فإن كل معنى السلطان يصبح مفقوداً. وعندما يقيم الله سلطانه المفوّض، فإنه ملتزم بكرامته أن يحفظ ذلك السلطان. أما نحن فإننا مسئولون أمام الله في هذا الأمر، لذلك دعونا نتحذر حتى لا نخطئ.

رفض السلطة المفوّضة إهانة لله

إن المثل الوارد "وَابْتَدَأَ يَقُولُ لِلشَّعْبِ هذَا الْمَثَلَ: "إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْمًا وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ زَمَانًا طَوِيلاً. وَفِي الْوَقْتِ أَرْسَلَ إِلَى الْكَرَّامِينَ عَبْدًا لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ، فَجَلَدَهُ الْكَرَّامُونَ، وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا. فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا آخَرَ، فَجَلَدُوا ذلِكَ أَيْضًا وَأَهَانُوهُ، وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا. ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالِثًا، فَجَرَّحُوا هذَا أَيْضًا وَأَخْرَجُوهُ. فَقَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ، لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ! فَلَمَّا رَآهُ الْكَرَّامُونَ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ! فَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ صَاحِبُ الْكَرْمِ؟ يَأْتِي وَيُهْلِكُ هؤُلاَءِ الْكَرَّامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لآخَرِينَ". فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: "حَاشَا!" (لو 20: 9-16) يركز على موضوع السلطة المفوضة. لم يذهب الله نفسه لتحصيل مستحقاته من المستأجرين، لكنه أرسل عبيده ثلاث مرات، وفي المرة الرابعة أرسل ابنه، وهؤلاء كلهم كانوا مندوبين عنه. لقد أراد أن يرى إذا كان

المستأجرين سوف يخضعون لسلطاته المفوضة من عدمه. كان في إمكانه أن يأتي بنفسه، لكنه أرسل مفوّضين عنه. في نظر الله، أن من يرفض خادمه، يرفضه هو. ويستحيل أن نسمع كلمة الله ولا نسمع كلام مندوبيه، وإذا كنا تحت سلطان الله، فيجب أيضاً أن نكون تحت سلطانه المفوض منه. إنه بخلاف ما ورد "**فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلاً لَهُ: "شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟" فَقَالَ: "مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟" فَقَالَ الرَّبُّ: "أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ". فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: "يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ". وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا. فَنَهَضَ شَاوُلُ عَنِ الأَرْضِ، وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لاَ يُبْصِرُ أَحَدًا. فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ. وَكَانَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ يُبْصِرُ، فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ. وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تِلْمِيذٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا: "يَا حَنَانِيَّا". فَقَالَ: "هأَنَذَا يَارَبُّ". فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى الزُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَاطْلُبْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا رَجُلاً طَرْسُوسِيًّا اسْمُهُ شَاوُلُ. لأَنَّهُ هُوَذَا يُصَلِّي، وَقَدْ رَأَى فِي رُؤْيَا رَجُلاً اسْمُهُ حَنَانِيَّا دَاخِلاً وَوَاضِعًا يَدَهُ عَلَيْهِ لِكَيْ يُبْصِرَ". فَأَجَابَ حَنَانِيَّا: "يَارَبُّ، قَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هذَا الرَّجُلِ، كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَههُنَا لَهُ سُلْطَانٌ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِكَ**" (أع 9: 4-15)

حيث بيان السلطان المباشر للرب يسوع، فإن بقية الكتاب يبيّن السلطان الذي فوضه للبشر، وربما نقول إنه قد أعطى معظم السلطان هم. ربما يظن الناس أنهم تحت سلطان آخرين من البشر وحسب، أمام الذين يدركون أمر السلطان، فإنهم يعلمون أن هؤلاء الآخرين هم سلطات مفوضة. إن الطاعة لسلطان الله المباشر لا يتطلب تواضعاً، لكن الخضوع للسلطة المفوضة يتطلب إتضاعاً وانكساراً. وما لم نضع الجسد جانباً فلن نقبل السماع لسلطة مفوّضة. دعونا نتذكر المثل حيث لم يذهب الله بنفسه بل أرسل خدامه، وأنه سوف يظهر فذلك للدينونة وليس لجمع ثمر الكرم.

بعدما وضع بولس نفسه تحت سلطان الرب المباشر، حوله الرب فوراً إلى سلطة مفوضة – حنانيا – "**فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: "يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: "قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ**" (أع 9: 6) لقد أدرك بولس هنا أنه ليس ضرورياً أن يسمع من الرب نفسه في ما بعد. ولكن ماذا بالنسبة لنا نحن، وهل نخضع لسلطاته المفوضة؟ إننا نميز بين السلطان المباشر وبين غير المباشر لغرض التوضيح فقط، لكن بالنسبة لله، هناك سلطان واحد، فلا يجب أن نستخف بأي سلطة في البيت أو الكنيسة. لقد انتظر شاول حنانيا وهو أعمى ولكن بعيون مفتوحة داخلياً وكانت رؤيته لحنانيا مثل رؤيته للرب يسوع، واستماعه له مثل استماعه

للرب. لا يتوقع أحد أن يحصل على نور من الله مباشرة إذا كان يرفض النور من سلطة أخرى مفوضة. إنها الطبيعة العاصية للإنسان التي تجعله يطيع سلطان الله المباشر دون الخضوع للسلطات المفوضة من قبله.

أحترام الله لسلطانه المفوض

سفر العدد الأصحاح الثلاثون، يحدثنا عن نذر المرأة وتعهداتها. فإذا كانت لا تزال في بيت أبيها. فإن نذرها سائد طالما أن والدها لا يعترض عليه. وإذا كانت متزوجة، فلابد من موافقة الزوج. وهنا تكون السلطة المباشرة (من الله) فاعلة بحسب ما تقرره السلطة المفوضة، سواء بالموافقة أو بالإلغاء. إن الله يحب تفويض سلطته، كما يحترم المفوض أيضاً. المرأة التي تحت سلطان زوجها مفوضة، فإن الله سوف يتعامل معه لأنه يحمل ذنبها، ولا تعتبر المرأة مسئولة. يخبرنا هذا الجزء الكتابي أننا لا نستطيع أن نتجاوز السلطة المفوضة من أجل الخضوع لسلطان الله. وبما أن الله نفسه هو صاحب التفويض للبشر فإنه لن يبطل هذا التفويض، بل بالحري يلتزم به، فيؤكد على ما تؤكده السلطة المفوّضة ويلغي ما تلغيه، وبذلك يحافظ باستمرار على سلطته المفوّضة، ولا خيار لنا إذن سوى الخضوع للسلطات الحاكمة.

إن كل العهد الجديد يقوم خلف سلطان مفوّض؛ والاستثناء الوحيد هو قول بطرس لمجمع اليهود "**يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ**" (أع 5: 29) وذلك عندما طلبوا من التلاميذ أن لا ينادوا باسم يسوع. ويعود ذلك إلى حقيقة تعدي السلطة المفوضة على وصية الله وعلى شخص الرب يسوع. وتصلح إجابة الرسول بطرس في مثل هذا الموقف الخاص، أما في الأحوال الأخرى فيجب أن نتعلّم الخضوع للسلطة المفوّضة، إذ لا يمكن أن تتم الطاعة من خلال العصيان.

8. سلطان الجسد

"لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ، كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا. فَإِنَّ الْجَسَدَ أَيْضًا لَيْسَ عُضْوًا وَاحِدًا بَلْ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ. إِنْ قَالَتِ الرِّجْلُ: "لأَنِّي لَسْتُ يَدًا، لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ". أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ وَإِنْ قَالَتِ الأُذُنُ: "لأَنِّي لَسْتُ عَيْنًا، لَسْتُ مِنَ الْجَسَدِ". أَفَلَمْ تَكُنْ لِذلِكَ مِنَ الْجَسَدِ؟ لَوْ كَانَ كُلُّ الْجَسَدِ عَيْنًا، فَأَيْنَ السَّمْعُ؟ لَوْ كَانَ الْكُلُّ سَمْعًا، فَأَيْنَ الشَّمُّ؟ وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ الأَعْضَاءَ، كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الْجَسَدِ، كَمَا أَرَادَ. وَلكِنْ لَوْ كَانَ جَمِيعُهَا عُضْوًا وَاحِدًا، أَيْنَ الْجَسَدُ؟ فَالآنَ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. لاَ تَقْدِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقُولَ لِلْيَدِ: "لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكِ!". أَوِ الرَّأْسُ أَيْضًا لِلرِّجْلَيْنِ: "لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا!" (1كو 12: 12-21)

"وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ" (مت 18: 15- 18)

التعبير الكامل للسلطان موجود في الجسد

التعبير الكامل لسلطان الله موجود في جسد المسيح. أي في كنيسته. وبالرغم أن الله هو الذي رسم السُلطات في العالم (حكام ومحكومون؛ آباء وأبناء؛ أزواج وزوجات؛ أسياد وعبيد) إلا أنها لا تعبّر بالكامل عن السلطان. ربما يظهر الخضوع خارجياً بينما القلب لا يطيع، وهذا هو خضوع الشفتين، مثلما يحدث مع الأطفال، فمن الصعب أن تحدد إذا ما كانوا مطيعين لوالديهم من كل قلوبهم أو عدمه؛ ويتكرر ذلك بين العبيد وسيادتهم، ومع الشعب مع حكامهم. أمّا الخضوع لسلطان الله فيجب أن يتم من كل القلب. إن كل أمثلة الخضوع تقع في نطاق العلاقات الإنسانية ومن ثم فهي مؤقتة و عرضه للانفصال، ولذلك لا يمكن أن نجد فيه خضوعاً كاملاً ومطلقاً. فقط العلاقة بين المسيح وبين الكنيسة هي التي تعبّر بالكامل عن السلطة والطاعة. إن الله لم يدع الكنيسة كمثال توضيحي، بل أقامها لتكون جسد المسيح. إننا غالباً ما نظن أن الكنيسة هي تجميع لمؤمنين هم

إيمان واحد أو هي أجتماع لقلوب محبة، بيد أن الله يراها مختلفة عن ذلك، لأنه يراها جسداً واحداً. الكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح رأس الكنيسة. إن العلاقات بين الآباء والأبناء وبين السادة والعبيد، وحتى بين الأزواج والزوجات، يمكن أن تنقصم لكن الرأس والجسد لا ينفصلان لأنهما شيء واحد. وبالمثل فإن المسيح والكنيسة لا يمكن أن ينفصلا أبداً. إن السلطة والطاعة كما نجدها في المسيح والكنيسة لهما طبيعة كاملة تفوق ما عداهما من علاقات. بالرغم من محبة الوالدين نحو أولادهم، إلا أنهم معرضون لسوء أستعمال سلطانهم. وبالمثل، قد تصدر الحكومات أوامر خاطئة، أو أن السادة يسيئون أستخدام سلطانهم. إن السلطان وكذلك الطاعة، هنا في هذا العالم ليسا كاملين أبداً. وهذا يفسر السبب الذي يجعل الله راغباً في إقامة سلطة كاملة وطاعة كاملة في المسيح والكنيسة. كالرأس والجسد. إن الآباء ربما يؤذون أولادهم في بعض الأحيان، لكن الرأس لن يؤذي الجسد، وسلطة الرأس ليست عرضة للخطأ لكنها كاملة؛ وبالمثل طاعة الجسد للرأس كاملة. حالما تتقبل الرأس فكرة ما، فإن الأصابع تتحرك طبيعياً وفي أنسجام وبلا ضوضاء. إن قصد الله لنا هو الوصول إلى الطاعة كاملة، ولن يقبل بأقل من ذلك. كلما تعلّم الفرد أكثر عن الطاعة، فسوف يرى الفرق بين وصية الله وبين إرادة الله. الوصية هي كلمة منطوقة بالله بينما الإرادة هي فكرة في عقل الله، والوصية يمكن النطق بها لكن الإرادة صامتة. والرب يسوع كان متوافقاً مع كليهما معاً. وبالمثل سوف يعمل الله في شعبه إلى أن تصبح العلاقة بين المسيح والكنيسة مثل تلك التي بين الله ومسيحه. إن الله سوف يستمر عاملاً حتى نطيع المسيح كما يطيع المسيح الله. إن المرحلة الأولى لعمل الله هو أن يجعل نفسه رأس المسيح، والمرحلة الثانية هي أن يجعل المسيح رأس الكنيسة. وسوف يعمل الله حتى نطيع إرادته فورياً دون الحاجة لتدريب الروح القدس. المرحلة الثالثة هي جعل ملكوت هذا العالم ملكوتاً لربنا ولمسيحه. لقد تمت المرحلة الأولى والثالثة لم تأتِ بعد، ونحن اليوم في المرحلة المتوسطة، وإنجازها ضروري جداً لقدوم المرحلة الثالثة، فهل نحن هنا مطيعون حتى يتخذ الله طريقه، أو أننا لا نطيع وبالتالي نعيق عمل الله؟ إن الله يعمل حتى يؤسس سلطانه في العالم، والمفتاح هو الكنيسة، والكنيسة تقف في الوسط وهي المحور؛ وتقع على أكتافنا مسئولية إظهار السلطان.

طاعة الجسد للرأس

لقد صنع الله الرأس والجسد مشتركين في حياة واحدة وطبيعة واحدة، ولذلك فمن الطبيعي جداً للجسد أن يطيع الرأس، وغير الطبيعي أن يحدث خلاف ذلك، وعلى سبيل المثال، من الطبيعي أن ترتفع اليد بإشارة من الرأس، فإذا لم تستجيب اليد، فلابد أن هناك أمراً خاطئاً. وبالمثل. إن روح

الحياة التي أعطاها الله لنا هي مثل تلك التي للرب يسوع، وهكذا طبيعة حياتنا مثل ما له. وهكذا احتمال لأي خلاف أو عصيان. إن بعض الحركات في أجسادنا تتم بوعي وأخرى تحدث تلقائياً، لأن الرأس والجسد متحدان فالطاعة تتضمن النوعين من الحركات .وكمثال، يستطيع الفرد أن يأخذ نفساً عميقاً بإرادته ووعيه، أو يتنفس عادياً بدون أي وعي (أثناء النوم) والقلب ينبض تلقائياً دون انتظار لأي أمر. وهذه هي طاعة الحياة، فالرأس تسعى إلى طاعة الجسد بلا ضوضاء أو إجبار، وبلا نزاع، بل بانسجام تام. لكن كثيرين اليوم لا يطيعون إلا الأوامر أو الوصايا، وهذا ليس كافياً، لأنه وراء الوصية هناك الإرادة، وفي الإرادة يوجد ناموس الحياة. وإن الطاعة الكاملة الآن، يمكن اعتبارها طاعة لناموس الحياة. وكل ما يقل عن طاعة الجسد للرأس لا يمكن اعتباره طاعة، والطاعة بالقوة لا تتفق مع محك الطاعة. لقد وضعنا الرب يسوع، حيث يوجد اتحاد كامل وطاعة تامة. ومن المدهش حقاً أن ترى فكر الروح القدس عاملاً في الأعضاء الذين لا يشعرون أنهم مختلفون وذلك لأن اتصاهم معاً غير منظور وتعاونهم منسجم تماماً. إننا أحيانا لا نحتاج حتى للتفكير من أجل توافق وظائف الأعضاء المختلفة وربما يتعذر التعبير لشرح التألف الموجود بين الأعضاء. ولكن ليتحذر كل عضو لئلا يصبح مريضاً ويعيق الجسد كله. بإختصار، نقول إن الكنيسة ليست فقط مكاناً لشركة الإخوة والأخوات ولكنها أيضاً مظهر للسلطان. مقاومة سلطان الأعضاء هي مقاومة للرأس قد يظهر سلطان الجسد مباشرة لكن في أغلب الأحيان يظهر بطريقة غير مباشرة. وليس الجسد فحسب خاضعاً للرأس، بل إن أعضاءه المختلفة خاضعة بعضها لبعض، وتساعد بعضها بعضاً. إن اليد اليمنى و اليسرى ليس هما اتصال مباشر، ولكن الرأس تحرك كليهما ولا تستطيع اليد اليسرى أن توجّه اليد اليمنى والعكس صحيح. ولا تستطيع اليد أن تأمر العينين للنظر، ولكنها تعطي إشارة للرأس وتدع الرأس تعطي أمرها للعينين؛ وهكذا تكون كل الأعضاء المختلفة قريبة بالتساوي مع الرأس، ومهما فعل عضو فهذا يعود إلى الرأس. عندما تنظر عيناي، فأنا الذي أنظر، وهكذا مع السير والعمل. ولذلك نستنتج أن حكم العضو هو حكم الرأس. اليد لا تستطيع أن ترى من ذاتها وعليها أن تقبل حكم العين. وهنا بالضبط يقع الخطأ الشائع لأولاد الله. إننا نحتاج أن ندرك سلطان الرأس في الأعضاء الأخرى. إن وظيفة كل عضو محدودة، فالعين للرؤية، واليد للعمل، والقدم للسير، ولذلك وجب علينا أن نتعلّم قبول وظائف الأعضاء الأخرى، ولا نرفض وظيفة أي عضو، فلو رفضت القدم اليد، فهذا مثل رفض الرأس ولكن إذا قبلنا سلطان العضو، فهذا مثل قبول سلطان الرأس. وعن طريق الشركة، تصبح كل الأعضاء الأخرى هي سلطاني أنا. ورغم أن وظيفة اليد في الجسم البشري هائلة، إلا أن عليها أن تقبل وظيفة القدم

عند السير. إن اليد لا تستطيع تمييز اللون، فهي بحاجة إلى قبول سلطان العين. إن وظيفة كل عضو تشكل سلطانه.

غنى المسيح هو السلطان

يستحيل أن نجعل كل عضو جسداً كاملاً، بل يجب أن يتعلّم كل واحد أن يقف في وضعه كعضو وقبول أعمال (وظائف) الأعضاء الأخرى؛ فما يراه الآخرون ويسمعونه يحسب رؤيتي أنا وسمعي. وقبول أعمال الأعضاء الأخرى هو قبول لغنى الرأس. لا يستطيع عضو أن يقوم مستقلاً، لأنه مجرد عضو في الجسد، ومهما فعلت الأعضاء الأخرى، فهذا مأخوذ كعمل لكل الأعضاء ومن ثم هو عمل الجسد. إن مشكلة اليوم هي أن اليد تُصر على الرؤية، حتى بعدما تمكنت العين فعلاً من الرؤية. إن كل واحد يرغب أن يكون له كل شيء في ذاته، ويرفض الأعضاء الأخرى. وهذا يخلق فقراً في نفسه وفي الكنيسة أيضاً. السلطان ليس سوى تعبير آخر عن غنى المسيح. وبقبول وظائف الآخرين - أي قبول سلطانهم - يمكن قبول ثروة كل الجسد. **"فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا"** (مت 6: 22) وهكذا إذا كانت أذنك صحيحة، فسوف يسمع كل الجسد جيداً. إننا غالبا نسيء فهم السلطان كما لو أنه أمر يعارضنا ويؤذينا ويزعجنا، لكن الله ليس لديه هذا المفهوم. إنه يستخدم السلطان ليعوض عجزنا نحن. إن دافعه لإقامة السلطان هو لكي يمنحنا غناه ولكي يسد حاجات الضعيف. إنه يعمل أولاً في حياة شخص آخر، ثم يعطيه سلطاناً عليك فتتعلّم الطاعة له، ثم تمتلك ما لم تمتلكه من قبل، وكأن ثروة هذا الرجل تصبح ثروتك أنت. في بعض الأحيان يمنحنا الله نعمته إمّا مباشرة أو بطريق غير مباشر، وهنا يضع فوقك أعضاء الكنيسة المتقدمين روحياً، وهذا يمكنك من اكتساب ثروتهم الروحية دون أن تمر أنت شخصياً في تجارب مؤلمة. ومن الجانب الآخر، فإن الله يعطي نعمة خاصة لكل عضو، لأن كل نجم له مجده الخاص. وهكذا يكون السلطان سبب ثراء للكنيسة، فما يمتلكه عضو، يعتبر ملكاً للكل. أما العصيان فهو الطريق إلى العوز والفقر، ومقاومة السلطان هي رفض وسائل النعمة والغنى.

توزيع الوظائف هو أيضاً نوع من السلطة المفوّضة

من يتجاسر على عصيان سلطان الرب؟ في بعض الأحيان، يستخدم الله عضواً بطريق مباشرة، وفي أحيان أخرى يستخدم عضواً آخر ليسد حاجة ذلك العضو. وكما توجه الرأس العين لكي ترى، يجب أن كل الجسد يقبل رؤيتها كأنها رؤيته هو. ومثل هذا التوزيع للوظائف هو نوع من السلطة المفوّضة، كما أنه يمثل سلطان الرأس. أمّا أن يفترض بقية الأعضاء أن يروه بذواتهم، فهم إذن

عاصون إن مَنْ يظن أنه مقتدر يحكم على نفسه بالغباء. تذكر دائماً إنك مجرد عضو، وأنك محتاج إلى عمل الأعضاء الآخرين. إن كل صاحب موهبة له خدمة، وكل من له خدمة، له سلطة. إن العين ترى فقط، ولكي ترى عليك أن تخضع لسلطان العين وتقبل مساعدتها. إن العمل الذي رسمه الله هو سلطان، ولا يجب أن يعترض عليه أحد. معظم الناس يريدون سلطان الله المباشر، لكن طريق الله المعتاد هو من خلال السلطات المفوّضة وهو الطريق غير المباشر وعلينا طاعته من أجل التقدم الروحي.

الحياة تجعل الطاعة سهلة

الطاعة ليست سهلة للعالم، كما كان الحال مع بني إسرائيل، لأنه لم تكن هناك رابطة حية بينهم. أمّا نحن الذين لنا هذا الرباط، فيصعب علينا العصيان. هناك وحدة داخلية، أي حياة واحدة وروح واحد، وسيطرة الروح القدس وقيادته لنا في كل شيء. إننا نشعر بالسعادة والراحة عندما نخضع بعضنا لبعض ونحمل أثقال بعضنا البعض. أمّا أن يقف الواحد مكان الآخر، فهذا صعب. في الماضي كانت السلطة والطاعة أموراً موضوعية، أي تعرض خارجي لقوة خارجية، أمّا اليوم فقد أصبح السلطان شيئاً حياً وأمراً داخلياً، فهو يلتقي مع الطاعة في جسد المسيح، وفي الحال يصبح السلطان والطاعة أمراً واحداً شخصياً ويحمل أعظم تعبير عن سلطان الله. السلطة والطاعة تصلان إلى ذروتهما في الجسد، فالرأس هي مصدر السلطان، والأعضاء (كلٌ بحسب وظيفته خادماً للآخر كسلطة مفوّضة وأيضاً في طاعة للسلطان) وهذا كله موجود في الكنيسة إذن دعونا نبني أنفسنا هنا، وإلا فلا سبيل آخر.

9. مظاهر عصيان الإنسان

ما هي المجالات الخاصة الأكثر توضيحاً لعصيان الإنسان؟ هي مجال الكلام، والمنطق، والأفكار. وإذا لم توجد معاملات عملية في هذه المجالات، فإن أمل التحرير من العصيان يصبح ضئيلا.

(1) الكلام

"لاَ يَغُرَّكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ بَاطِلٍ، لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" (أف 5: 6)

"فيَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (مت 12:34)

الكلام هو مخرج القلب

الإنسان العاصي في قلبه سوف ينطق سريعاً بكلمات عاصية. لكي تعرف السلطان، لابد أن تتقابل مع سلطة، وإلا فإنك لن تطيع. إن مجرد سماع رسالة عن الطاعة، هو بلا تأثير، إذا لابد من التقابل مع الله حتى يتم وضع أساس سلطان الله في الحياة. وبعد ذلك، حينما يقول كلمة عاصية - حتى قبل النطق بها - سوف يشعر بالتعدي وهكذا يتم تقييده داخلياً. أما الذي يتكلم بكلمات عاصية بحرية، وبلا أي إحساس داخلي بقيد، فهو بالتأكد لم يقابل سلطاناً وربما يكون النطق بكلمات العصيان أسهل من عمل العصيان نفسه. ما أصعب ترويض اللسان، وما أسرع التعبير عن العصيان من خلال اللسان. ربما يتفق الواحد مع شخص آخر في وجهه، لكنه يسبّه من وراء ظهره، وربما يهدأ في مواجهة إنسان، بينما يقول الكثير عالياً فيما بعد، لأن استخدام الفم في نطق المعصية ليس صعباً. إن مجتمع اليوم يتميّز بالعصيان، ويقدم خدمة الشفاه فقط والخضوع الخارجي. أما الكنيسة فيجب أن تكون مختلفة ويجب أن تكون الطاعة من القلب، لأن كلمات الفم سوف تبيّن بسهولة إذا كانت الطاعة قلبية أم لا، ولعل الله ينتظر طاعة القلب.

أضافت حواء كاملاً بلا مبالاة

عندما واجهت حواء التجربة، أضافت **"وَلاَ تَمَسَّاهُ"** (تك 3: 3) وما أخطر إضافة حرف لمن يعرف سلطان الله، وقد يفعل ذلك سواء بالإضافة أو الحذف بالنسبة لكلام الله، وهذا نوع من العصيان. إذا أرسلت الحكومة شخصاً متحدثاً بإسمها وممثلاً لها، فلا شك أنه سوف يحاول

جاهداً أن يتذكر كل ما كُلف به من أقوال دون أن يجرؤ على إضافة شيء من ذاته. رغم إن حواء كانت تشاهد الله يومياً، إلا أنها لم تدرك السلطان، ولذلك أضافت كلماتها الخاصة بلا مبالاة، وربما تصوّرت أنه لا فرقاً كبيراً بين كلمات أكثر أو أقل. ولكن حتى الشخص الأرضي والذي يخدم سيداً أرضياً لا يتجاسر على تغيير كلام سيده على حسب هواه، فكم بالحري من يخدم الله الحي.

حام يُعلن سقطة أبيه

عندما رأى حام عورة أبيه، ذهب وأخبر إخوته. إن غير الخاضع قلبياً يتوقع باستمرار سقوط السلطان، ولذلك أسرع بإذاعة الخبر، مما يثبت أنه لم يكن خاضعاً لسلطان أبيه، وربما كان خضوعه خارجياً فقط أو من نصف قلبه. إن إخوة كثيرين اليوم، بسبب نقص المحبة، يستمتعون بالكشف عن أخطاء الآخرين ويتحينون الفرص لذلك. حام كان ينقصه الحب والخضوع، فكان مثالاً للعصيان.

مريم وهرون تكلما على موسى

إحتل موسى وضعاً فريداً في دعوة الله، أمّا هارون ومريم فكانا مساعدين له فقط، لكنهما عصيا نظام الله وعبرا عن مشاعرهما بالحديث ضد موسى. إن معرفة السلطة تسد الأفواه وتمنع مشاكل كثيرة. لقد قالت مريم "**هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟**" (عد 12: 2) وربما كانت سوف تنطق بأكثر من ذلك، مثل جبل الثلج الذي يظهر جزء صغير منه فوق سطح الماء بينما يختفي معظمه تحتها. لكن مهما بدت الكلمات خفيفة، فسوف يكتشف الله مقدار العصيان

قورح وجماعته هاجموا موسى

اجتمع قورح مع مائتين وخمسين من القادة ضد موسى، وهاجموه بالكلام الكثير مثل الفيضان الجارف وبلا قيود. وهذا كان الفرق بين حالهم وحال مريم، ولذلك تم استعادتهما، أمّا هؤلاء فقد نزلوا إلى الهاوية، ولم يستطيع موسى أن يفعل شيئاً سوى أنه إنطرح أرضاً. لقد قالوا لموسى "**تَتَرَأَّسَ عَلَيْنَا تَرَؤُّسًا؟**"(عد 16: 13) ولعلنا نتعلّم من هذا المثال، أن الذي يسمع ويخضع لسلطان الله المباشر، لكنه يرفض السلطة المفوضة من الله، فهو لا يزال تحت مبدأ العصيان. إن الخاضع للسُلطات يستطيع بكل تأكيد أن يتحكم في فمه، ولا يتجاسر على الكلام المطلق. عندما حوكِم بولس أمام المجمع تكلم إلى رئيس الكهنة كنبي وقال له "**سَيَضْرِبُكَ اللهُ أَيُّهَا الْحَائِطُ الْمُبَيَّضُ!**" (أع 23: 3) وبما أنه كان يهودياً، وعندما أخبروه أنه رئيس الكهنة، تحوّل وقال "**لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّهُ**

رَئِيسُ كَهَنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شَعْبِكَ لاَ تَقُلْ فِيهِ سُوءًا" (عد 23: 5) لقد كان حريصاً في كلماته، ومحدداً ومتحكماً على فمه.

العصيان مرتبط بالشهوات الجسدية

لقد تحدث الرسول بطرس عن الذين يستهينون بالسيادة - السلطان - بعدما تحدث فوراً عن الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة **"وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ وَرَاءَ الْجَسَدِ فِي شَهْوَةِ النَّجَاسَةِ، وَيَسْتَهِينُونَ بِالسِّيَادَةِ. جَسُورُونَ، مُعْجِبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، لاَ يَرْتَعِبُونَ أَنْ يَفْتَرُوا عَلَى ذَوِي الأَمْجَادِ"** (2بط 2: 10) ونظام هؤلاء الذين يحتقرون السلطان هو الكلام ضده، أي كلام العصيان. يقال أن الطيور على أشكالها تقع، فالعاصي والشهواني يلتقيان معاً ويراهما الله متساويين. ولعلهما من السوء أنهما لا يخافا أن يفتريا على ذوي الأمجاد. أمّا الذين يعرفون الله فإنهم "يرتعبون" لو فعلوا ذلك. إنها شهوة الفم أن يتكلم بالشتم. لقد كانت الملائكة تحت حكم ذوي الأمجاد ولذلك لم تتجاسر أن تصدر حكم افتراء على الآخرين أمام الرب، بل كانوا حريصين أن لا يحملوا موقفاً عاصياً في التعامل مع تلك الأرواح التي لم تستمر في وضعها السابق. وهذا السبب نفسه، يجب ألا نسبّ الآخرين بأي كلام ضدهم أمام الله ولا في صلواتنا. لقد برهن داود أنه قد حفظ مركزه عندما أدرك أن شاول مسيح الرب. لقد قامت قوة الشيطان بواسطة أولئك الذين لم يحفظوا مكانهم أمّا الذين حافظوا على مكانهم، فأولئك هم الملائكة. يستطيع المؤمنون أن يفقدوا قوتهم بأحد أمرين: إمّا بالخطية، أو بإهانة السلطة. إن فقدان القوة يصبح أعظم، عندما يتحوّل العصيان إلى كلام بدلاً من إخفائه في القلب. صحيح أنه في نظر الله يتساوى فكر الإنسان مع العمل، فمن يقبل الشر فكرياً كأنه قد ارتكبه عملياً. ولكن الرب يقول **"فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ. اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لأَنَّكَ بِكَلاَمِكَ تَتَبَرَّرُ وَبِكَلاَمِكَ تُدَانُ"** (مت 12 :34،36،37) يتضمن هذا الكلام أن هناك فرقاً بين الفكر وبين الكلمات، فالفكر يمكن تغطيته، لكن بالكلام يتعرى الأمر. ولعل مؤمنين كثيرين اليوم يفقدون قوتهم بواسطة الفم أكثر مما هو بالعمل. ولعل كل العصاة هم مشكلة مع أفواههم، فالذين لا يسيطرون على كلامهم، لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم.

"أَمَّا هؤُلاَءِ فَكَحَيَوَانَاتٍ غَيْرِ نَاطِقَةٍ،(غير عاقلة) طَبِيعِيَّةٍ، مَوْلُودَةٍ لِلصَّيْدِ وَالْهَلاَكِ" (2بط 2: 12) لماذا يوبخهم كأنهم حيوانات؟ لأنهم أصبحوا بلا إحساس. وبما أن السلطان هو أكثر شيء مركزي في الكتاب المقدس، لذلك فإن الإفتراء عليه يشكل أكبر خطية، ولا يجب أن نفتح الفم بإهمال، وحالما نتقابل مع الله، يتقيد الفم، فلا يتجاسر بالافتراء على السُلطات. إن التقابل مع السلطان يخلق فينا وعياً به مثل التقابل مع الرب الذي يجعلنا نشعر بالخطية.

منشأ الصعوبات في الكنيسة

إن كلمات الافتراء والحديث المهمل يسبب كثيراً من تحطيم وحدة الكنيسة وفقدان القوة وإيجاد المشاكل في الكنيسة، أمّا المشاكل الحقيقية فهي تشكل أقل قدر. وربما معظم متاعب هذا العالم قد تولّدت بسبب أكاذيب. ولو استطعنا أن نوقف الافتراء في داخل الكنيسة، فسوف نزيل الجزء الأكبر من مشاكلنا، وكم نحتاج أن نعترف بخطايانا ونطلب غفران الله، ولا نعود إلى كلام الافتراء قدام الله **"أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ؟"** (يع 3: 11) لا يجب أن تخرج من نفس الشفاه كلمات الحب وكلمات الافتراء. ليت الله يضع رقيباً على أفواهنا، وليس الشفاه فقط بل أيضاً على قلوبنا، حتى نتخلّص من الأفكار العاصية والكلام الخاطئ.

(2) المنطق

كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:"أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ".فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا! لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى:"إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ". فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ لِلهِ الَّذِي يَرْحَمُ. لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ:"إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ". فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ. فَسَتَقُولُ لِي:"لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟" (رو 9: 13- 19)

لقد كان لحام منطقه لكي يتكلم على أبيه، لأنه تعرى، ومريم تكلمت على موسى لأنه تزوج بامرأة كوشية، وهكذا فإن الافتراء يأتي من منطق، لكن الخاضع للسلطان، يحيا تحت السلطان وليس في المنطق. قال قورح لموسى وهارون: **"كَفَاكُمَا! إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ؟"** (عد 16: 3) وكان هذا منطقهما، أمّا أبيرام ودوثان فكان

لهما منطق أقوى بقولها لموسى **"لم تأتِ بنا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم"**. إن شعب هذا العالم يعيش في المنطق، فهل نختلف نحن عنهم؟

إتباع الرب يتطلب التحرر من المنطق

ماذا يحكم حياتنا، هل المنطق أو السلطان؟ عندما يستنير إنسان بالرب سوف لا يعود يرى بعينيه ومن ثم سوف يلقي بالمنطق جانباً، تماماً كما حدث مع شاول الطرسوسي. كان موسى له منطقة وجداله، لكنه في طاعته لله، عاش فوق المنطق. إن الذين يعيشون تحت سلطان الله، لا يعيشون بالعيان، وهكذا يجب على كل خدام الله أن يتخلصوا من حياة المنطق، لأنه السبب الأول للعصيان. وما لم يتحرر الإنسان بواسطة الرب من عبودية المنطق، فإنه آجلاً أم عاجلاً، سوف يتفوه بكلمات الافتراء. يبدو سهلاً الحديث عن التحرر من المنطق، ولكن بكوننا خلائق عقلية كيف نتوقف عن المنطق مع الله، إننا نستخدم المنطق منذ الطفولة وحتى النضوج وسواء كنا مؤمنين أو غير مؤمنين، لأن المبدأ الرئيسي لحياتنا هو المنطق، فكيف نتوقف إذن؟ إن هذا يعتمد على نوعيه الحياة التي نحياها، فهناك مؤمنون يعيشون على مستوى المنطق، وآخرون على مستوى السلطان. فدعونا نسأل أنفسنا: أين نعيش نحن اليوم؟ إذا صدر أمر إلهي إلينا، هل نبحث عن أسباب كافية تجعلنا نقوم بالتنفيذ؟ ما هذا سوى مظهر لشجرة معرفة الخير والشر، ومن ثمارها ليس فقط التحكم في أمورنا الشخصية، بل أيضاً الأمور المعيّنة من قبل الله. إننا نفكر لله ونقرر ما يجب أن يفكر الله فيه. وهذا بلا شك مبدأ شيطاني، لأنه فكر يوماً ما أن يكون مساوياً لله. إن كل الذين يعرفون الله حقاً، يطيعونه بلا مجادلة، وهنا لا يوجد إحتمال لخلط المنطق بالطاعة. وإذا أراد أحد أن يتعلم الطاعة فيجب أن يضع المنطق جانباً، وعليه إمّا أن يحيا بسلطان الله، أو بالمنطق البشري، ويستحيل الحياة بكليهما معاً. إن حياة الرب يسوع على الأرض، كانت فوق المنطق تماماً. ما هو المنطق في الإهانة، واللطم، والصلب؟ لكنه وضع نفسه تحت سلطان الله، ولم يجادل ولم يسأل، لكنه أطاع فقط! ما أعقد الحياة تحت المنطق. تأمل طيور السماء وزنابق الحقل، وكيف تعيش في بساطة. إننا كلما خضعنا للسلطان، كانت حياتنا أسهل.

الله لا يجادل أبداً

لقد برهن بولس لليهود دعوة الله للأمم، وبما أن الله اختار إسحق فقط من بني إبراهيم، ثم اختار يعقوب فقط، فلماذا لا يختار الأمم؟ إنه الجالس على عرش المجد والكل تحت سلطانه، فمن هو التراب الذي يجادل الله؟ إننا لا نستطيع أن نتبعه من جانب، ومن الجانب الآخر نطلب أن نعرف

السبب. وإذا رغبنا في خدمته، فلا يجب أن نجادله، بل بالحري نقف على أرض الطاعة، ولا نحاول أن نكون مُشيرين لله. إن الله لا يجادل لكنه يفعل ببساطة ما يريده. أمّا أنه يقسي من يشاء **"فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ"** (رو 9: 18) فلا يعني أنه يجعله يخطئ، بل يعني فقط أنه تركه لشأنه. ذكر الرسول بولس نوعاً من المجادلة، لكنه لم يجب عن السؤال المعترضين "لماذا يلوم بعد؟" بل عاد يسألهم "مَنْ أنت أيها الإنسان؟" ولم يقل "ماذا تسألون؟" بل "من أنت الذي تجاوب الله؟". عندما يمارس الله سلطانه، لا يحتاج لاستشارة أحد أو لموافقة منه، لكنه يطلب الطاعة لسلطانه، والإدراك أنه الإله الصالح. الإنسان يحب المنطق، لكن هل لنا أن نسأل إذا كان هناك منطق (سبب) حقيقي في أمر خلاصنا؟ لامنطق على الإطلاق. إني لم أسع ولم أشأ، لكني خلُصت، هذا هو أمر غير منطقي قد حدث مطلقاً. إن الخزاف له سلطان أن يصنع آنية للكرامة وأخرى للهوان، فالموضوع يتعلّق بالسلطان وليس بمسألة المنطق. إن الصعوبة الأساسية للناس اليوم، هي أنهم لا يزالون يعيشون تحت مبدأ معرفة الخير والشر، وتحت قوة المنطق. لو كان كتابنا للمجادلات، لكنا نبحث عن السبب في كل شيء، لكنه يفتح لنا كوى السماء ليس للجدال، بل للسؤال "مَنْ أنت"؟.

مجد الله يحرر من المنطق

عندما كنت شاباً صغيراً، كثيراً ما تعثرت من الأمور غير المنطقية التي كان الله يعملها، إلى أن قرأت (رو 9) ولأول مرة في حياتي ألمس القليل من سلطان الله، وبدأت أرى نفسي مجرد مخلوق، فكيف أتجاسر بمنطقي أنا نحو الله؟ إن لمحة فقط لجزء من مجده، كافية أن تجعلنا ننحني على ركبنا ونلقي بكل الأسباب بعيداً، كما حدث مع الرسول يوحنا **"فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ قَائِلاً لِي: لاَ تَخَفْ، أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ"** (رؤ 1: 17) ليت الله يرحمنا فندرك مقدار ضعفنا وانحطاطنا، فلا نتجاسر على سؤال الله. إن ملكة الجنوب عندما رأت جزءاً من مجد سليمان، لم تبق فيها روح بعد، وها هو أعظم من سليمان ههنا. إن كل مجادلاتنا سوف تخبو في ضوء مجد الله، وكلما عاش الإنسان في هذا المجد، ضعف منطقه، أما إذا زادت أسئلته فهذا يعني أنه لم ير بعد مجد الله. لقد بدأت أتعلّم في هذه السنوات أن الله يعمل ما لا أفهمه أنا، ولكني أستمر متعبداً له، لأني مجرد خادم له. ولو فهمت كل طرقه، فسوف أجلس أنا على العرش، ولكن حيث أنه الله وحده في الأعالي، فإني أنطرح في التراب والرماد فتختفي كل أسئلتي. لم يعد مبدأ الخطأ والصواب هو المسيطر على حياتي، بل سلطان الله. ومن يعرف الله، يعرف نفسه، ومن ثم يتحرر من المنطق. إن طريق معرفة الله هو الطاعة. أمّا كل الذين يعيشون في المنطق، لم يعرفوا الله بعد.

المنطق الوحيد: "أنا الرب إلهكم"

كما أمر الرب بني إسرائيل أن يفعلوا شيئاً ما، كان يبدأ بهذا القول **"أنا الرب إلهكم"** (لا 18: 22)، ولم يسبق هذا التعبير حرف استدراك "لأن أو لأني" بمعنى أني أتكلم هكذا لأني أنا الرب إلهكم ولا حاجة لي أن أبدي سبب آخر فأنا السبب وأنا العلة، وطالما أن الله هو الفاعل، فهذا يكفي. أمّا المجادلة مع الله فهي تتضمن أن الله محتاج إلى موافقتنا على كل ما يفعله. عندما يعمل الله، فليس عليه التزام أن يخبرنا عن السبب، ذلك لأن طرقه أعلى من طرقنا. ولو أتينا بالله إلى مستوى منطقنا، فسوف نفقده لأننا نجعله واحد منا! وفي التساؤل لا توجد عبادة بعد، وحالما تختفي الطاعة، تضيع العبادة. إذا حاولنا أن نحكم على الله بحسب منطقنا، فكأنما نجعل أنفسنا آلهة، ولكن أين الفرق إذن بين الخزاف والطين؟

10. تابع مظاهر عصيان الإنسان

(3) الأفكار

"إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ، وَمُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ، مَتَى كَمِلَتْ طَاعَتُكُمْ" (2كو 10: 4- 6)

العلاقة بين المنطق والفكر

إن كلمات العصيان تأتي من منطق عصيان، وهذا المنطق "ينطبخ" في الفكر، ولذلك فإن الفكر هو العامل المركزي في العصيان. إن الجزء الكتابي السابق يشير إلى منطقة مهمة في الإنسان وحيث الطاعة للمسيح مطلوبة؛ ويقول العدد الخامس **"وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ"** وهذا يفترض أن عصيان الإنسان هو أساساً في فكره. يذكر بولس أننا يجب أن نهدم ظنوناً (أسباباً أو منطقاً) وكل علو يرتفع ضد معرفة الله. الإنسان يحب أن يبني ظنوناً – أسباباً - كأنها حصون حول ذهنه، لكن هذه الأسباب لابد من تدميرها وأسر الفكر. يجب طرح الظنون جانباً أمّا الفكر فيجب إستعادته ثانية. في الحرب الروحية يجب هدم الحصون قبل أسر الفكر، وإذا لم تطرح الظنون جانباً، فلا احتمال لإحضار فكر الإنسان إلى طاعة المسيح. إن "العلو" هو مثل بناء مرتفع يمنع معرفة الله، وحالما يبدأ الإنسان في الظن – أو المنطق – فإن فكره ينحصر ولا يصبح بعد حراً في طاعة الله، لأن الطاعة هي موضوع فكر. إن الظن الذي يتم التعبير عنه خارجياً يصبح كلاماً عندما تختبئ الظنون في الداخل، فإنها تحيط بالفكر وتمنعه من الطاعة. ما أخطر عادة الظن في الإنسان لأنها تنكسر إلا بمعركة، وقد ورثناها من شجرة معرفة الخير والشر. لكن الرسول بولس لم يستخدم منطقاً ليحارب به منطقاً آخر. إن الميل العقلي نحو المنطق يجب التعامل معه بأسلحة روحية، أي بقوة الله.

إن (تك 3) يشرح (2كو 10) لقد تحاجج الشيطان مع حواء، واستجابت حواء بمنطقها عندما رأت الشجرة جيدة للأكل، ولم تسمع لله. عندما يرتفع الظن – المنطق - يسقط فكر الإنسان في مصيدة. إن المنطق والفكر لصيقان ومرتبطان، والأول يميل إلى أسر الثاني. وحالما يتم أسر الفكر، يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن طاعة المسيح. ويتبع ذلك أنه إذا أردنا حقا نطيع الله يجب أن نعلم كيف يحطم سلطان الله حصون الظن والمنطق.

إن الكلمة في أصلها اليوناني تعني "أداة العقل" فالعقل هو الوظيفة، والأداة هي عمل العقل، أي النتيجة. ومن خلال وظيفة العقل يمكن للإنسان أن يفكر بحرية ويقرر، وهذا يمثل الإنسان نفسه. وإذا أراد الاحتفاظ بحريته عليه القول إن كل أفكاره جيدة وصحيحة، ولا يجرؤ على المداخلة ومن ثم يحيط أفكاره بأسباب متعددة. ولهذا السبب، يفشل كثيرون في الإيمان بالله، لأنهم مسجونون في حصن من فكر أو آخر. وعلى سبيل الأمثله، قد يقول غير المؤمن "سوف أنتظر حتى أكبر في العمر"، أو "هناك مؤمنون لا يتصرفون حسناً ولذلك لا أستطيع الإيمان"، أو "ليس الآن"؛ وبالمثل يبدي المؤمنون أسباباً لعدم محبتهم الكثيرة للرب، فيقول الطلبة إنهم مشغولون في دروسهم، ورجال الأعمال مشغولون بأعمالهم، والعليل يحتج بضعف صحته ...وهكذا، وما لم يحطم الله مثل هذه الحصون، فلن يتحرر إنسان. إن الشيطان يحبس الناس في حصون الظنون والأسباب. إن سلطان الله فقط هو وحده القادر على أخذ الفكر المأسور لطاعة المسيح. وتأتي الطاعة الحقيقية للمسيح، بعدما يتم إعادة أسر ظنون الإنسان. نستطيع أن نحكم على أي فرد إذا كان قد تقابل مع السلطان من عدمه، وذلك بملاحظة كلماته، ومنطقه، وأفكاره، وهل تم التعامل معها كما ينبغي أم لا؟ ما أن يتقابل أحد مع سلطان الله، فإن لسانه لن يجرؤ على الكلام العابث، ولن يطلق العنان للتعبير عن منطقه وأسبابه. الإنسان العادي له أفكاره متعددة، وكلها مدعمة بأسبابها، ولكن لابد أن يأتي يوم عندما يهدم سلطان الله كل حصون المنطق، والتي أقامها الشيطان ليأسر فيها كل أفكار الإنسان. إننا نتصرف كما لو أن هناك شخصين مقتدرين في الكون، الله وأنا، وكأني مُشير يعرف كل شيء! إن مثل هذا الموقف يبيّن أن أفكاري لم يتم أسرها بعد وأني لا أعرف شيئاً عن السلطان. والواقع أنه لا يوجد أحد في هذا الكون يستطيع ممارسة إرادته بحرية، لأنه مأسور إمّا بظنونه أو المسيح، وبالتالي فإنه يخدم إمّا الشيطان أو المسيح. في الماضي، كانت لي مجادلات عديدة تدعم أفكاري، ولكني الآن لا توجد لدي مجادلات لأني مأسور في المسيح، ومستعد لقبول أفكار الله دون أية مشورة من ذاتي.

تحذيرات للمتشبثين برأيهم

(1) بولس

كان شخصا ماهراً وحكيماً وعقلانياً، واستطاع دائماً أن يجد طريقه لعمل أي شيء، فقد كان واثقاً من نفسه، وخدم الله بكل حماس. وبينما كان يقود جماعة في طريقه إلى دمشق، سقط على

الأرض بسبب ضياء عظيم، ومن ذلك الحين فصاعداً تغيرت مقاصده وأساليبه، ولم يعد إلى طرسوس ولا عاد إلى أورشليم ولم يترك عمله في دمشق فحسب، بل تخلى عن كل ما ينوي عمله آنذاك. عندما يصادف الناس بعض الصعوبات، فإنهم يحاولون بطرق أخرى ولكنها لا تزال بحسب أفكارهم الخاصة، دون الخضوع لله. لم يكن الحال هكذا مع بولس، فبعدما ضربه الله وألقاه أرضاً، فقد كل شيء ولم يعد قادراً على قول أو فكر وكأنه لا يعلم شيئاً على الإطلاق، ولذلك سأل "**يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟**" (أع 9: 6) هنا نجد شخصاً تم أسر أفكاره للرب وقد أطاع من كل أعماق قلبه. في الماضي كان هو القائد دائماً، لكن الآن بعدما تقابل مع سلطان الله، فقدَ شاول آراءه، وهذه هي العلامة الأولى للتقابل مع الله، ولعله كان يقول "أنا الآن إنسان مأسور بالله، فلا أعود أفكر وأقرر، بل أسمع وأطيع".

(2) شاول الملك

لقد رفضه الله لأنه عفا عن خيار الغنم للذبح لله، وكان ذلك بحسب فكره الخاص ولكي يُرضي الله. كان الرفض بسبب أن أفكاره لم يتم أسرها بواسطة الله. لا يقول أحد إن شاول الملك لم يكن غيوراً في خدمة الله، لكنه صنع قراره بحسب فكره الخاص (1صم 15)

إن كل الذين يخدمون الله، يجب أن يتعلموا درس هذا السؤال "**يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟**" (أع 9: 6) وليس مسموحاً للإنسان أن يشير على الله بشيء. لقد رفض شاول أن يهلك كل عماليق، فكان أن قتله رجل عماليقي وانتهى ملكه.

(3) ناداب وأبيهو

كان عصيانهما بخصوص التقدمة ورفضا الخضوع لسلطان أبيهما، وعملا بحسب فكرهما الخاص، وأخطأ إلى الرب بتقديم نار غريبة، وهكذا تعديا على نظام الله. ربما اعتبرا أن مثل هذه الخدمة أمراً صالحاً، ولئن أخطأ، فهذا الخطأ في جانب خدمة الله، ولم يعلما أن الرب سوف يرفضهما ويعاقبهما بالموت.

الطاعة شهادة عن الملكوت

لا يتطلع الله نحو مقدار الحرارة التي نكرز بها أو الألم الذي نعانيه من أجله، لكنه ينظر إلى مقدار طاعتنا له. إن ملكوت الله يبدأ عندما تكون هناك طاعة مطلقة لله، بلا دمدمة ولا آراء خاصة ولا ظنون بشرية، وهذا انتظر الله ذلك اليوم المجيد منذ خلق العالم. ولئن كان لله ابنه البكر والذي هو

باكورة الطاعة، لكنه ينتظر أبناء كثيرين لكي يشابهوا ابنه البكر. وأينما توجد كنيسة على هذه الأرض تطيع حقاً سلطان الله، فهناك شهادة الملكوت وهناك هزيمة إبليس. لا يخاف الشيطان من عملنا طالما هو قائم على مبدأ العصيان، ولعله يضحك سراً عندما نعمل بحسب أفكارنا الخاصة. أقر ناموس موسى إن اللاويين يحملون تابوت العهد، ولكن الفلسطينيين أعادوه إلى إسرائيل على عجلة تجرها الثيران .وهكذا فعل مرة داود، فتعثرت الثيران وكاد يقع التابوت. ولما مد عُزة يده وأمسك التابوت، أماته الرب في الحال. إن الهدف هو طاعة أمر الله وبلا مداخلة أو مشورة بشرية. في الماضي وجدنا حرية في الحياة بأنفسنا، لكننا الآن نجد حرية حقيقية عندما نستأسر أفكارنا بالله لطاعة المسيح؛ وعندما نفقد حريتنا، نربح حرية حقيقية في الرب. **"وَمُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ، مَتَى كَمِلَتْ طَاعَتُكُمْ"** (2كو 10: 6) الطاعة الكاملة ممكنة فقط بعد أسر الأفكار. أما الذين لا يزالون يميلون إلى تقديم مشورة لله، فإنهم لا يطيعون بالكامل. إن الرب مستعد أن ينتقم على كل عصيان عندما تكتمل طاعتنا نحن. ولكن كيف نتوقع طاعة العالم إذا كانت الكنيسة لا تطيع؟ الكنيسة غير المطيعة لا تتوقع طاعة غير المؤمنين للإنجيل، ولكن بطاعة الكنيسة سوف تكون هناك طاعة للإنجيل. يجب أن نتدرب حتى لا نطلق العنان لأفواهنا، وحتى لا نسمح لعقولنا بالمجادلة مع الله، ولا لقلوبنا أن تقدم مشورة لله.

11. مقياس طاعة السلطان

"بِالإِيمَانِ مُوسَى، بَعْدَمَا وُلِدَ، أَخْفَاهُ أَبَوَاهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ، لأَنَّهُمَا رَأَيَا الصَّبِيَّ جَمِيلاً، وَلَمْ يَخْشَيَا أَمْرَ الْمَلِكِ". (عب 11: 23)

"وَلكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللهَ وَلَمْ تَفْعَلاَ كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَتَا الأَوْلاَدَ" (خر 1: 17)

"وَإِلاَّ فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَنَّنَا لاَ نَعْبُدُ آلِهَتَكَ وَلاَ نَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ" (دا 3: 18)

"فَلَمَّا عَلِمَ دَانِيآلُ بِإِمْضَاءِ الْكِتَابَةِ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، وَكُوَاهُ مَفْتُوحَةٌ فِي عُلِّيَّتِهِ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَصَلَّى وَحَمَدَ قُدَّامَ إِلهِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ ذلِكَ" (دا 6: 10)

"قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ" (مت 2: 13)

"فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَالرُّسُلُ وَقَالُوا :يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ" (أع 5: 29)

الخضوع مطلق، لكن الطاعة نسبية

الخضوع هو مسألة موقف، بينما الطاعة هي مسألة سلوك. قال بطرس ويوحنا للمجمع اليهودي: "**إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا**" (أع 4: 19) لم تكن هما روح عصيان إذ خضعا لمَنْ كان هم سلطان. وهكذا الطاعة لا تكون مطلقة، فهناك سُلطات يجب طاعتها، بينما هناك أخرى لا تطاع لاسيما في الأمور التي تمس أساسيات المسيحية مثل الإيمان بالرب والكرازة بالإنجيل وهكذا: الخضوع يجب أن يكون تاماً، وأحياناً الطاعة تكون خضوعاً بينما في أحيان أخرى، عدم القدرة على الطاعة يكون أيضاً خضوعاً، حتى عندما نبدي اقتراحاً ما، علينا الاحتفاظ بموقف الخضوع. وأفضل مثال هو (أع 15) عندما كانت هناك مجموعة اقتراحات، لكن حالما صدر قرار فلابد من الخضوع.

مقياس طاعة السلطة المفوضة

إذا رفض الآباء أن يجتمع أولادهم مع القديسين، فعلى الأبناء أن يستمروا في موقف الخضوع حتى لو لم يطيعوا بالضرورة. وهذا شبيه بما فعله التلاميذ مع المجمع اليهودي، وعندما منعوهم من الكرازة بالإنجيل، احتفظوا بروح الخضوع أثناء المحاكمة، لكنهم استمروا في إرسالية الرب. إنهم لم

يطيعوا بالشجار والصياح، ولكنهم أبدوا اعتراضهم بهدوء ونعومة. لا يجب أن تكون هناك كلمة استهزاء، ولا موقف تمرد ضد السلطات الحاكمة. إن الذي يعرف السلطة يعرف كيف يكون لطيفاً ورقيقاً، مع كونه مطلقاً في خضوعه سواء في قلبه أو في موقفه، وكذلك في كلمته، وبلا أي علامة للعصيان أو العنف. عندما تتنازع السلطة المفوّضة مع السلطة المباشرة (الله نفسه) فلابد من الخضوع وليس الطاعة للسلطة المفوّضة، ودعونا نلخص هذا تحت ثلاث نقاط:

(1) الطاعة تتعلّق بالسلوك وهي نسبية. الخضوع يتعلّق بموقف القلب وهو مطلق.

(2) الله وحده هو الذي يقبل طاعة تامة وبلا حدود، أما أي إنسان آخر، فإنه يقبل طاعة مشروطة.

(3) إذا أصدرت السلطة المفوّضة أمراً يناقض صراحة وصية الله، فهذا الأمر يلقى خضوعاً وليس طاعة. علينا أن نخضع للشخص المفوّض له السلطة، لكننا لا نطيع الأمر الذي يتعدى الله.

إذا أراد الوالدون أن يذهب أولادهم إلى مكان يفضل عدم الذهاب إليه كمؤمنين (وليس مكاناً فيه خطية) فالأمر إذن مفتوح للمناقشة. الخضوع تام، أما الطاعة فيمكن أخذها في الاعتبار، فإذا أجبروك على الذهاب، عليك أن تذهب لكن إذا لم يصروا على ذلك، فأنت حر أن لا تذهب. والأولاد الذين يحتفظون بالموقف السليم، سوف يحررهم الله من بيئتهم.

أمثلة كتابية

(1) القابلتان وأم موسى، لم يطعن أمر فرعون وأحتفظن بموسى حياً، ولكنهن أُعتبرن مؤمنات

(2) الفتية الثلاثة رفضوا السجود للتمثال الذهبي وعصوا أمر الملك، لكنهم خضعوا لنار الأتون.

(3) صلى دانيال بخلاف أمر الملك، لكنه خضع لحكمه وتم القاؤه في جب الأسود.

(4) هرب يوسف مع الصبي يسوع وأمه ليتجنب قتل هيرودس للطفل.

(5) كرز بطرس بالإنجيل رغم أنه كان ضد أمر المجمع اليهودي، لأن طاعة الله قبل طاعة الناس، ولم يمانع عندما وضعوه في السجن.

سمات أساسية مصاحبة للطاعة

كيف نحكم على شخص إذا كان مطيعاً للسلطان؟ من خلال العلامات التالية:

(1) الشخص الذي يعرف السلطان، سوف يحاول أن يجد السلطة حيثما يذهب، والكنيسة هي المكان الذي يمكن فيه تعلّم الطاعة دوناً عن أي مكان آخر.

(2) الشخص الذي تقابل مع سلطان الله، يكون لطيفاً ورقيقاً ويخاف من الجفاء أو الخطأ.

(3) الشخص الذي تقابل حقاً مع السلطان، لا يحب أبداً أن يكون في مكان سلطة ولا يفكر في ذلك ولا يجد مسرة في التحكّم على الآخرين. إن الذين لا يعرفون السلطان، هم الذين يرغبون في السلطة.

(4) الشخص الذي تلامس مع السلطة، يحفظ فمه مغلقاً، لأنه تحت قيد، ولا يجرؤ على التكلّم بإهمال لأنه يعرف معنى السلطة.

(5) هذا الشخص يكون حساساً لأي عصيان أو تجاوز للقانون حوله، ويستطيع أن يقود آخرين إلى الطاعة.

معرفة السلطان تحافظ على النظام

إذا لم تكن هناك لمسه حية مع السلطة، فمن المستحيل تأسيس الطاعة، ولا السلطة المبنية على أساس الطاعة لها. وعلى سبيل المثال، إذا وضعت كلبين معاً، فلا فائدة إذا حاولت أن تجعل أحدهما صاحب سلطة والآخر هو المطيع. إن التلامس الحي مع السلطان الإلهي، هو وحده الذي يحل المشاكل النابعة من نقص الطاعة للسطان. وحالما يتعدى أحدهم السلطان، فسوف يشعر في الحال أنه تعدى الله، وعبثاً إذا حاولت أن تشير إلى خطأ صادر من شخص لا يعرف السلطان الإلهي، ولكن بعد قيادته أولاً إلى معرفة السلطان، وبعدئذ بيّن له الخطأ ولكن إحذر أنك في مساعدتك للآخرين، تقع أنت في عصيانهم.

الحياة والسلطان

هذان عنصران يحافظان على الكنيسة. إن الحياة التي نحن فيها مقيمون، هي حياة الخضوع، وهي التي تمكننا من طاعة السلطان. إن معظم المشاكل داخل الكنيسة لها

علاقة بنقص الخضوع الداخلي، في حين أن المبدأ الحاكم لحياتنا هو الخضوع، تماماً مثل الطيور التي تطير، والسمك الذي يسبح في الماء. إن **"وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ"**(أف 4: 13)، تبدو بعيدة المنال، لكنها ليست كذلك إذا عرفنا سلطان الله. ربما يكون للقديسين أفكار مختلفة لكنهم لا يتمردون إذ يخضعون بعضهم لبعض، وبذلك نكون واحداً في الإيمان. إن الحياة التي قبلناها ليست فقط للتعامل مع الخطية، وهذا هو الجانب السلبي، بل هي بالأكثر من أجل الطاعة، وهذا هو الجانب الإيجابي والحيوي. وإذا سارت كل الكنائس في طريق الطاعة، فإن الحقيقة المجيدة لوحدة الإيمان سوف تظهر حقاً أمام عيوننا.

الفصل الثاني

السُلطات المفوضة من الله

12. الذين يعتبرهم الله سلطات مفوضة

يجب على أولاد الله لا أن يدركوا فقط السلطان، بل أيضاً أن يتطلعوا إلى الذين يجب طاعتهم. كان قائد المئة رجلاً يعرف حقاً السلطان "**لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ. لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. أَقُولُ لِهذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: اِئْتِ! فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِيَ: افْعَلْ هذَا! فَيَفْعَلُ**" (مت 8: 9). إن الله كما يحمل اليوم الكون كله بسلطانه، فإنه يربط أولاده معاً خلال سلطانه. وإذا كان أي أحد من أولاد الله مستقلاً ومعتمداً على ذاته وليس خاضعاً لسُلطة مفوّضة. فإنه لن يتمكن من إنجاز عمل الله على الأرض. كيف يمكن أن نؤمن إذا كنا لا نعرف بمن نؤمن، وكيف يمكن أن نحب إذا كنا لا نعلم من نحب، وكيف نطيع إذا كنا لا نعلم من نطيع؟ إننا لا نملك اختيار أولئك الذين يجب أن نطيعهم، لكن يوجد في الكنيسة سُلطات مفوّضة كثيرة. لا يوجد شخص مناسب في ذاته أن يكون مفوضاً لسلطة ما إلا إذا عرف هو أولاً أن يكون تحت سُلطة. ولا يعلم أحد كيفية ممارسة السلطان ما لم يتم التعامل أولاً مع درجة عصيانه الشخصي.

ثلاثة متطلبات للسلطة المفوّضة

(1) لابد أن يعلم أن كل سلطان هو من الله

كل شخص مدعو ليمثل سلطة مفوّضة يجب أن يتذكر أنه "**لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ**" (رو 13: 1). إن الشخص نفسه ليس هو السلطان، ولا يستطيع أحد أن يجعل نفسه سُلطة ما. ومهما كانت آراؤه ومعتقداته وأفكاره، فهي ليست أفضل من غيره. ولكن الذي يأتي فقط من الله يشكل سُلطة ويتطلب طاعة الإنسان. إن السلطة المفوّضة تمثل سلطان الله ولا تعني أنه هو أيضاً له سلطان. إننا لا نملك في أنفسنا أقل قدر من سلطان، في البيت أو العالم أو الكنيسة وكل ما نستطيعه هو تنفيذ سلطان الله. إن رجل البوليس والقاضي، منفذان للسُلطة ويدعمان القانون، لكنهما لا يكتبان القانون بنفسيهما. وبالمثل، فإن الموضوعين في الكنيسة كسلطة، يمثلون فقط سلطان الله، وسلطانهم يرجع إلى أنهم في مقدرة تمثيلية – نيابية – وليس لأنهم في أنفسهم مستحقون أكثر من غيرهم. لكي يصبح أحدهم في سلطة، لا يعتمد ذلك على ما لديه من آراء وأفكار، لكن الأمر يتعلّق بمعرفة إرادة الله. إن مقياس معرفة

الفـرد لإرادة الله هـو مقيـاس سـلطته التفويضـية. أمّـا الـذين هـم آراء كـثيرة، وأفكـار قويـة، فهـؤلاء يُخشـى مـنهم داخـل الكنيسـة. مـن واجـب السـلطة المفوّضـة أن تعـرف بكـل تأكيـد مـا هـي إرادة الله في كـل أمـر خـاص، ثـم تعمـل كممثـل لله وتخـدم بسـلطان، ولكـن بعيـداً عـن هـذه المعرفـة، فـلا سـلطان لهـا ولا أمـر بالطاعـة. لا يوجـد أحـد يسـتطيع أن يكـون سـلطان الله المفـوّض، مـا لم يـتعلّم طاعـة سـلطان الله ويفهـم إرادتـه. فـإذا كـان شـخص ممـثلاً لشـركة مـا في التفـاوض حـول عقـد عمـل، فقبـل أن يوقـع علـى العقـد، يجـب أن يستشـير المـدير العـام، لأنـه لا يسـتطيع أن يوقـع مسـتقلاً. ذلـك الـذي يعمـل مفوّضـاً لسـلطان الله، يحتـاج أن يعـرف أولاً إرادة الله وطريقـه قبـل أن يـتمكن مـن تثبيـت سـلطانه. إنـه لا يسـتطيع أن يعطـي الإخـوة أمـر لم يـأمر بـه الله، وإذا فعـل بخـلاف ذلـك، فهـو يمثـل نفسـه ولـيس ممـثلاً عـن الله، ولـذلك مطلـوب أن يعـرف أولاً إرادة الله قبـل أن يعمـل نيابـة عـن الله، وبعـد ذلـك سـوف يـأتي عملـه تحـت موافقـة الله. هـذا السـبب يجـب أن نـتعلّم الارتفـاع عاليـاً واللمـس العميـق في الأمـور الروحيـة، كمـا نحتـاج إلى معرفـة أوفـر عـن إرادة الله وطريقـه. وعلينـا أن نـرى مـا لم يـره الآخـرون، وأن نبلـغ إلى مـا لم يبلغـه الآخـرون. إن مـا نفعلـه يجـب أن يـأتي ممـا قـد تعلمنـاه أمـام الله، وأن مـا نقولـه يجـب أن يصـدر ممـا قـد اختبرنـاه منـه. لا سـلطان إلا الله. وكـل سـلطان يعتمـد علـى مـا تعلمنـاه وعرفنـاه أمـام الله. لا تظـن أن الأكـبر سـناً يسـتطيع أن يوقـف الأصـغر بحكـم سـنه، أو الأخ لأختـه، أو صـاحب الطبـع الحـاد أن يخضـع البطـيء الهـادئ. إن مَـنْ يرغـب في خضـوع الآخرين له، عليه أن يتعلّم أولاً معرفة سلطان الله.

(2) يجب أن ينكر نفسه

مـا لم يعـرف الفـرد إرادة الله، عليـه أن يغلـق فمـه، ولا يمـارس السـلطان بـلا حـرص، ربمـا الإنسـان في ذاتـه، هـو الوحيـد في العـالم الـذي يعتـبر أن رأيـه هـو الأفضـل. ولعـل أصـحاب الأفكـار الكـثيرة يريـدون أن يصـبحوا مشـيرين للجميـع، وينتهـزون كـل فرصـة لفـرض آرائهـم علـى الآخـرين. ومثـل هـؤلاء، لا يسـتخدمهم الله ممـثلين لسـلطانه. علـى سـبيل المثـال، مَـنْ يستطيع أن يعيّن مستخدماً مبذراً للحفاظ على حساباته؟

إن الله يـدعونا لتمثيـل سـلطانه ولـيس لكـي نحـل محلـه في سـلطانه، والله لا يستشـير الإنسـان ولا يسـمح لأحـد أن يكـون مشـيراً لـه **"لأَنْ مَـنْ عَـرَفَ فِكْـرَ الـرَّبِّ؟ أَوْ مَـنْ صَـارَ لَـهُ مُشِـيرًا؟"**(رو 34:11) لا يعـني ذلـك أن المسـتخدم مـن الله لا فكـر ولا رأي ولا حكـم لـه، إنمـا

يعني الإنكسار التام لكل قدراته الخاصة أمام الله. والأشخاص الذين بطبيعتهم كثيرو الكلام ومتشبثون برأيهم ومعجبون بأنفسهم يحتاجون لمعاملة خاصة، لأن الكلام الكثير يجعلنا ننسى أنفسنا سريعاً ومن ثم تنكشف نفوسنا على حقيقتها. إننا نحتاج مثل بلعام أن نندفع ضد الحائط حتى تنسحق أقدامنا ومن ثم نتعلّم التعقل. إن صاحب القدم المنسحق لا يحتاج إلى نصيحة السير ببطء. إن مثل هذه الاختبارات المؤلمة هي التي سوف تحررنا من أنفسنا. إن السلطة المفوّضة ليست للتعبير عن آرائنا الخاصة، ولا للتدخل في شئون الآخرون. يبدو أن البعض يفترض أنهم قضاة في محكمة عليا، ويَدعون أنهم عالمون بكل شيء في الكنيسة وكل شيء في العالم، وهم رأيهم الجاهز بخصوص أي فرد وأي شيء. إن الشخص غير الواقعي لم يتعلم بعد النظام ولم يتعامل معه. إنه يعرف الكل ويستطيع عمل الكل، وآراؤه وطرقه تفوق الحسبان، مثل هذا الإنسان غير مؤهل لأي سلطان مفوّض من الله.

(3) يجب أن يحتفظ بشركة مستمرة مع الرب

إن الأمر ليس مجرد اتصال بل اتحاد مع الرب. إن كل مَنْ يبدي أراء حرة ويتكلم بلا حرص باسم الرب، هو بعيد تماماً عن الرب، ومن يذكر اسم الله عفواً فقط، فهو بعيد عن الله أيضاً. أما القريبون من الله، فلهم خوف الله في قلوبهم، ويستطيعون أن يروا أخطاءهم بسهولة. فالصلة الحميمة مع الله هي مطلب رئيسي للشخص الذي له سلطة. وهناك مشكلة يخلقها ذلك الشخص إذا أصدر حكماً قبل أن تتضح له إرادة الله. "**فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:" الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ. أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَ دَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي**" (يو 5: 19، 30) إننا بالمثل يجب أن نتعلّم السمع والمعرفة والفهم، ولا يتأتي ذلك سوى من خلال شركة وثيقة مع الرب. إن الذين يعيشون في محضر الله ويتعلمون منه، هم فقط المؤهلون للحديث إلى الإخوة والأخوات، وهم فقط الذين يعرفون كيفية العمل عندما تحدث مصاعب أو مشاكل بين الإخوة في الكنيسة. إذا تحدثت بصراحة أقول إن الصعوبة اليوم هي أن غالبية خدام الله شجعان أكثر من اللازم أو متحفظون جداً أو مستبدون؛ ولذلك يتكلمون بما لم يسمعوه من الله، ولكن بأي سلطان يفعلون ذلك، وما هو الفرق إذن بينهم وبين الباقين؟ السلطان له طبيعة نيابية وليست موروثة، بمعنى أن الفرد يجب

أن يحيا أمام الله يتعلّم ويتألم حتى لا يُسقط نفسه على سلطانه (عملية إسقاط ذاتي)، ولا يجب أن يعتبر نفسه أنه هو السلطان، لأن الله وحده هو السلطان وصاحب السلطان وليس آخر. فإذا تدفق سلطان الله إليّ، فيمكن أن يتدفق من خلالي إلى آخرين؛ والذي يجعلني مختلفاً عنهم هو الله، وليس ذاتي، ويجب الاعتراف بذلك. وبما أن الله هو الذي رتب أن أكون سلطانه النيابي، لذا يجب أن أعيش في محضره واتصل به باستمرار وأطلب معرفة فكره، وإذا لم أشاهد شيئاً هناك مع الله، فلا شيء لي يمكن أن أقوله هنا للناس. لماذا نستعمل كلمة "مشاركة"؟ لأننا يجب أن نعيش في محضر الرب باستمرار، وليس مرة بين الحين والآخر، وحينما نبتعد عن الله، تتغير طبيعة السلطان الذي لنا. ليت الله يساعدنا حتى نعيش أبدياً أمامه. بما أن السلطان هو من الله، فلا شيء منه في داخلنا، فنحن ممثلون له فقط. وبما أن السلطان ليس لنا، فيجب أن نكون موضوعين في مواقفنا. وبما أن السلطان يأتي من الله، فيجب أن نعيش في شركة معه، فإذا انقطعت هذه الشركة، توقف السلطان أيضاً.

عدم السعي لتثبيت سلطة شخصية

الله هو الذي يعين السلطة، ولذلك لا حاجة للسلطة المفوّضة لمحاولة ضمان سلطانها. لا تصرّ أن يسمع لك الآخرون، فإذا أخطأوا، دعهم وشأنهم، وإذا لم يخضعوا، اتركهم في تمردهم، وإذا أصروا على المضيّ في طريقهم الخاص، دعهم يذهبون؛ لأن السلطة النيابية لا يجب أن تصارع مع الناس. لماذا أطلب الانصياع إذا لم أكن سلطة معيّنة من قبل الله، ومن الجانب الآخر، إذا كنت معيّناً بالله، فهل أخشى عدم خضوع الناس لي؟ إن من يرفض السماع لي، إنما يرفض السماع لله، ولا فائدة من إجبار الناس على السمع. وإذا كان الله هو عضدي فلماذا أخاف؟ الناس أحرار، وكلما استأمنا الله، كانت هناك حرية أكثر للناس من حولنا، ومن يشعر بالعطش نحو الرب، سوف يأتي إلينا. لا يجب أبداً أن نتحدث كثيراً عن سلطاننا، ولا يجب محاولة تثبيت السلطة بأنفسنا. رغم أن داود قد مسحه الله وأقامه ملكاً، إلا أنه استمر تحت يد شاول الملك عدّة سنوات، ولم يحاول أن يمد يده لتقييم سلطانه الشخصي. وبالمثل إذا أقامك الله في سلطة ما، عليك أن تحتمل معارضة الآخرين. أمّا إذا لم تكن المعيّن من الله، فعبثاً تحاول تثبيت السلطان. لا أحب أن أسمع بعض الأزواج يقولون لزوجاتهم إنهم السلطان الذي أسسه الله وعليكن أن تخضعن لنا؛ كما لا أُسر أبداً عندما أسمع شيوخ الكنيسة يقولون لغيرهم إننا السلطان

الـذي عيّنــه الله. أيهــا الأحبــاء، لا تحــاولوا تثبيــت ســلطانكم، فــإذا اختــاركم الله لــذلك، اقبلــوه بتواضــع، وإذا لم تكونــوا مــدعوين لســلطان، فلمــاذا تصــارعون؟ إن كــل محاولــة يقــوم بهــا أحـد لكـي يقـيم لنفسـه سـلطة مـا يجـب استئصـالها تمامـاً مـن وسـطنا، فـالله هـو الـذي يفعـل ذلــك. إذا أقامــك الله حقــاً في ســلطان، فأمامــك اختيــاران: أمّــا تعصــي وتنســحب روحيــاً، أو تطيــع وتقبــل نعمــة. إذا وضــعت ســلطتك تحــت الاختبــار، فــلا تفعــل شــيئاً، أي لا تتســرع ولا تصــارع ولا تتحــدث عــن نفســك. إن العصــيان لــيس موجهــاً لــك بــل هــو ضــد الله، والخطــأ ضــد ســلطان الله ولــيس لســلطانك أنــت. إذا كــان ســلطانك مــن الله حقــاً، فــإن المقــاومين لــك سوف يجدون طريقهم الروحي مسدوداً أمامهم.

13. المؤهل الأساسي للسلطات المفوّضة

الإعلان

"فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ... وَهذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلاَمَةُ أَنِّي أَرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هذَا الْجَبَلِ" (خر 3: 10، 13). **"تَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلَى مُوسَى ... فَلِمَاذَا لاَ تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟"** (عد 12: 1، 8)

لا توجد سلطة مفوّضة من قبل الله في العهد القديم أعظم من تلك المعطاة لموسى، وبالتالي يمكن اعتباره مثالاً نتعلّم منه. وسوف نمر على معاملات الله معه، وكيفية تصرفه عندما قوبل بالرفض أو التعدي أو بالسخرية. قبل أن يضع الله موسى في موضع السلطة، كان موسى قد قتل مصرياً ووبخ إسرائيليين لنزاعهما معاً، وعندما تحداه أحدهما **"مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟"** (خر 2:14) أصابه الضعف فهرب. لم يكن في ذلك الوقت قد اختبر بعد الصليب والقيامة، بل تصرف في كل شيء بقوته الطبيعية. ورغم أنه كان سريعاً وجريئاً في القتل، لكنه كان ضعيفاً وفارغاً من الداخل؛ فلم يثبت أمام الاختيار، بل خاف وهرب إلى برية مديان. وهناك تعلّم الدروس في أربعين سنة. وبعد ذلك ظهر له الله في علّيقة محترقة، وعيّن له سلطاناً.

لا تصغي لكلام الاستهزاء

سألوا موسى: هل أنت وحدك تتحدث عن الله وقد تزوجت امرأة كوشية؟ ألم يتحدث الله من خلالنا أيضاً؟ هل يمكن أن يتزوج نسل يافث بواحدة من نسل حام ثم يستمر في خدمة الله؟ يقول الكتاب إن الله قد سمع كل هذا، كما لو أن موسى نفسه لم يسمع. وهنا نجد إنساناً لم يتأثر بكلام الناس ولم تصله كلمات السخرية. لقد ترك موضوع سماع مثل هذا الكلام لله!

لا تدافع عن نفسك

الدفاع أو التبرئة أو أي رد فعل آخر، يجب أن يأتي من الله، وليس من الإنسان. إن الذي يبرر نفسه، لا يعرف الله. لم يوجد على الأرض شخص ذو سلطان أكثر من السيد،

ومع ذلك لم يحاول قط الدفاع عن نفسه، لأن السلطان والدفاع عن النفس متنافران. إن الذي تدافع عن نفسك ضده، يصبح قاضياً عليك، ويرتفع فوقك عندما تبدأ في مجاوبة انتقاده لك. إن من يتحدث عن نفسه هو تحت إدانة وليس له سلطان، وكلما حاول تبرير نفسه، فقد سلطانه أكثر. لقد وقف بولس أمام مؤمني كورنثوس كسلطة مفوضة من الله، لكنه قال "**لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي**" (1كو 4:3)، لأن التبرئة تأتي من الله.

الوداعة الشديدة

يقول العدد الثاني من الأصحاح الثاني عشر في سفر العدد، أن الله سمع، وفي العدد الرابع أن الله تصرف، ويأتي العدد الثالث بجملة اعتراضية هكذا "**وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**" (عد 12: 3) لم يناضل موسى لأنه أدرك أنه لم يخطئ، والله لا يعيّن شخصاً صلب الرقبة في سلطة، ولا يفوّض المتكبر، بل يضع الحليم والرقيق. إن حلم موسى لم يكن عادياً، بل كان حلم الله. إن الله لا يفوّض العنيف أو القوى، لكنه يفوض شخصاً مثل بولس، الذي كان حضوره الجسدي ضعيفاً وحديثه بلا قيمة مع البعض. لقد قال الرب إن ملكوته ليس من هذا العالم، ولذلك لا يجب أن يحارب خدامه من أجله. إن السلطة التي تأتي نتيجة الحرب، هي ليست من الله. يظن الناس عادة أن السلطة لها متطلبات: قوة الشخصية، الفخامة، العظمة، السيادة أو المظهر القوي، الفصاحة، الأفكار الذكية، قوة الجسم... إلخ، بيد أن هذه الصفات لا تمثل السلطان، بل تؤيد الجسد فقط. لم يتفوق أحد في كل العهد القديم على موسى في أمر السلطة المفوّضة، ومع ذلك كان أكثرهم حلماً. إن أقل الناس توقعاً للسلطة هو عادة الذي يعتبر نفسه صاحب سلطة، وبالمثل كلما ظن شخص أن له سلطاناً، كان في الواقع يملك أقل سلطة.

الإعلان هو رقم واحد

فَقَالَ الرَّبُّ حَالاً (فجأة) لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ: "اخْرُجُوا أَنْتُمُ الثَّلاَثَةُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ" (عد 12: 4) إن كلمة "حالاً" أو "فجأة" تعني "بلا توقع". ربما مريم وهرون تكلما كثيراً ضد موسى، لكن الله دعا ثلاثتهم فجأة. إن الكثيرين الذين يعصون السلطان، إنما يفعلون ذلك خارج الخيمة. ثم "دَعَا (الله) هَارُونَ وَمَرْيَمَ فَخَرَجَا كِلاَهُمَا. فَقَالَ: اسْمَعَا كَلاَمِي" كان تذمرهما السابق "هل كلم الرب موسى وحده؟"، لكن ها الرب

يدعوهما لسماع كلامه، معلناً حقيقة أنهما لم يسمعا من قبل كلام الرب. كانت تلك المرة الأولى التي تكلم الله معهما، ولم تكن بغرض الإعلان، بل التأنيب، ولم تكن لإظهار مجد الله، بل للحكم على تصرفهما: "**أنتما اللذان تكلمتما، اسمعا الآن كلامي أنا**". ولعلنا نفهم من هذا، أن القادر على الكلام، غير قادر على سماع كلام الله، ولذلك افترض الله أنهما لم يكونا نبيين "**إن كان منكم نبي؟!**". لقد كانا من الأنبياء فعلاً، لكن الله استعلن لهما بالأحلام والرؤى، بخلاف موسى الذي تحدث إليه فماً إلى فم بكل وضوح، وكان ذلك تبرير الله لموسى. لقد أعطى الله الإعلان لموسى وليس هارون أو مريم، لأن الله هو الذي أقام موسى، فهو وحده الذي يملك حق رفضه، وهذا من صميم عمله هو دون تدخل من أحد. إن قيمة الإنسان لا تتحدد بحكم الآخرين ولا بحكمه الشخصي، بل بالإعلان الذي يتقبله من الله، وبدون إعلان يصبح الشخص مرفوضاً من السلطة. إذا أردنا أن نتعلّم شيئاً عن السُلطة، علينا أن نلتفت إلى حالنا قدام الله. إذا كان الله يرغب في إعطائنا إعلاناً ولا يتحدث إلينا بالألغاز بل وجهاً لوجه، فلا يستطيع أحد ان يطردنا. ولكن إذا انقطعت شركتنا بالله وانغلقت السماء فمهما كانت مؤهلاتنا الأرضية، فلا شيء يُرجى. إن السماء المفتوحة هي ختم الله وشهادة النبوة لنا، كما حدث أثناء عماد الرب يسوع. الإعلان إذن هو برهان السلطان. أمّا إذا كنا نناضل من أجل السلطة، فهذا دليل على أن سلطاننا جسدي محض ومظلم وخالٍ من رؤية سماوية. قال الله عن موسى "**بل هو أمين في كل بيتي**" (7). وفي ذلك كان مثالاً للسيد المسيح. لقد دعاه الله "عبدي"، أي أنني ملك له وأنتمي إليه، وهو الذي اشتراني، ولم أعد أملك حريتي. وهذا يفسر سبب عدم سكوت الله ثم كلامه عند إهانة خدامه، ولا حاجة لنا أن نبرر ذواتنا. وما فائدة حديثي عن نفسي إذا لم يتقدمني الله؟ ولماذا يحاول أي واحد منا أن يؤكد على سلطاننا؟ فإذا كان سلطاننا من الله، فهو لا يحتاج إلى تقوية، والإعلان هو البرهان. ومتى وجد الذين يتكلمون علينا أو ضدنا، فإن الله سوف يتحول إليهم ويبطل إعلانه لهم، وهكذا يثبت أننا المعيّنون بواسطته. إن مَنْ يتعدى على السلطات المفوّضة بالله، إنما يتعدى على الذي يمثلونه شخصياً. إنهم سوف يجدون السماء مغلقة من فوقهم، وعليهم أن يتضعوا ويعترفوا بالسلطات التي أقامها الله.

عدم الإحساس بالضغينة

"فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى؟". لقد أحس الله أن مثل هذا الكلام كان مرعباً. ولأن الله هو الله، فهو يعرف الحب والنور والمجد، والخوف أيضاً، ليس بمعنى أنه الخائف، لكنه خاف على مريم وهارون من جراء فعلهما المرعب، ثم توقف عن الكلام معهما وتركهما غاضباً، وهكذا حافظ الله على سلطانه هو وليس سلطان موسى. لم يقل إنهما تكلما على موسى بل قال "عبدي موسى". إنه لا يسمح لأحد أن يفسد سلطانه، وإذا تحداه أحد، فإنه يذهب غاضباً. ولذلك ارتفعت السحابة عن الخيمة، وهي ترمز إلى حضور الله، وصارت مريم برصاء. ولما رأي هارون ذلك، خاف، لأنه كان شريكاً في العصيان، ولكن يبدو أن مريم كانت الرائدة. لقد رفضت الخيمة أن تعطي إعلاناً، وموسى لم يفتح فمه، مع أنه كان لبقاً في الحديث، لكنه ظل صامتاً. إن الذين يعجزون عن السيطرة على أفواههم وقلوبهم، لا يصلحون للسلطات. ولكن عندما تضرع هارون إلى موسى، صرخ الأخير إلى الرب، وتصرف في الأمر كله كأنه مجرد متفرج لم يتذمر ولم يؤنب، وكأنه لم يشعر بشيء في نفسه، ولم يحمل فكراً خاصاً من ذاته، كما لم تكن لديه نية إدانة أو عقاب. وما أن انتهت مهمة الله، صفح من قلبه بسرعة. يقوم السلطان الإلهي لتنفيذ نظام الله، وليس لمجد شخص معيّن. هذا النظام هدفه إعطاء إحساس الله لأولاد الله، وليس الإحساس بالذات. إن الأمر المهم، هو مساعدة الناس على الخضوع لسلطان الله، ولذلك كان أمر رفض موسى يسيراً بالنسبة له، وصلى قائلا: "اللهم اشفها". ليتنا إذن نتحرر من مشاعرنا الشخصية، لأنها إذا استمرت فينا، سوف تدمر أعمال الله، وتوقف يده. لو لم يكن موسى مدركاً لنعمة الله، لكان قد طلب من هارون أن يصلي هو طالما أنه يدعي أن الله يتحدث معه؛ ولكان قد عقد العزم على التنازل عن منصبه. ما لم يبرئ الله ساحته. لكن موسى لم يدافع عن نفسه، كما لم يسع للإنتقام. لقد تحرر موسى من أي مشاعر سيئة لأنه لم يعش في ذاته؛ ثم إن حياته الطبيعية السابقة قد سبق التعامل معها. لقد كان تصرفه مشابهاً للسيد المسيح عندما طلب مغفرة الذين صلبوه. لقد أثبت موسى أنه سلطان الله المفوّض، إذ كان قادراً على تمثيل الله ولم يتصرف بحسب حياته الطبيعية، ولم يحم نفسه بالسعي نحو الدفاع أو الانتقام. لقد انتشر سلطان الله خلاله بلا عائق، وعن طريقه، تقابل الناس مع سلطان الله. إن السلطة المفوضة ليست أمرا سهلاً، لأنها تتطلب إفراغ الذات من المشاعر الرديئة.

14. سمة أصحاب السلطات المفوّضة

السماحة

"فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ" (عد 16: 4)

كان هذا أول ما عمله موسى تجاه العصيان الذي قاده قورح وهو لاوي، مع دوثان وأبيرام من نسل رأوبين، ودعمهم مائتان وخمسون قائداً في الجماعة، وواجهوا موسى وهارون بأقصى الكلام. كان التذمر في (عد 12) منحصراً في مريم وهارون، وبقدر ما، كان خافياً. أما العصيان هنا، فكان جماعياً ومباشراً ضد موسى وهارون. ولذلك سوف يتم التركيز هنا على ما يلي: 1- ماذا كان حال موسى الشخصي وموقفه؟. 2- كيف تعامل موسى مع الأزمة، وكيف جاوب المتمردين؟. كان أول فعل لموسى أنه "سقط على وجهه" (4). هذا هو الموقف الحقيقي الذي يجب أن يتحلى به كل خادم لله. كان الناس ثائرين، وكثر كلامهم، لكن موسى وحده هو الذي تمدد على الأرض. وهنا أيضاً نتقابل مع شخص يعرف السلطان. لقد كان حليماً جداً، وكان خالياً من أية مشاعر شخصية سيئة، فلم يدافع عن نفسه ولم يهتز. وبعدما سقط على وجهه، قال **"غداً يعلن الرب من هو له، ومن المقدس حتى يقربه إليه فالذي يختاره يقربه إليه"** (5). لقد فضّل أن الله هو الذي يصنع التمييز، لأنه يؤمن به ولذلك كل شيء لله. ثم تنهد وقال **"كفاكم يابني لاوى"** (7).

التحريض والتصحيح

كان تحريض موسى لقورح يهدف لتصحيحه واستعادته، فكان يعلم جدية الأمر، واهتم بكل العصاة آنذاك، ولم يكن تعبيراً عن السيادة بل بالحري إعلاناً عن وداعته. إن من يسمح للناس أن يظلوا في مكان خاطئ دون نية استعادتهم فهذا يدل على قساوة قلبه، ولو لم يحثهم في مثل ذلك الحين، لكان ذلك نوعاً من الكبرياء. عندما هاجموه، قدم لهم عظة، ثم تركهم ليلة كاملة لكي يتوبوا. لقد تعامل موسى مع العصاة كل على حدة، فتحدث مع اللاوي قورح أولاً، ثم مع داثان وأبيرام، ثم أرسل أحدهم ليدعوهما، لكنهما رفضا، مما برهن أنهما تخالفا معه، لكن موسى يسعى نحو التصحيح وليس الانقسام، حتى لو كان مرفوضاً. كان الاتهام الساذج ضد موسى، هو أنه أخرجهم من أرض تفيض لبناً وعسلاً - مصر! - (13). لم يكن هؤلاء العصاة يختلفون عن العشرة جواسيس الذين

رغـم أنهـم رأوا فـيض كنعـان، رفضـوا دخولهـا وعـاتبوا موسـى. ولـذلك غضـب موسـى، وذهـب للـرب لكـي يتنـازل هـو (15). وكـان تنازلـه بقصـد الدينونـة، وكـان سـوف يهلـك كـل الجماعـة ولـيس قـورح فقـط، لكـن موسـى توسـل مـن أجـل الجماعـة (22) واسـتجاب الله لـه، لكنه أمرهم بالانفصال عن خيام الأشرار.

روح عدم الإدانة

بينمـا كـان الـرب يسـتعد لدينونـة العصـاة، قـال موسـى لهـم **"أَنَّ الـرَّبَّ قَـدْ أَرْسَلَنِي لأَعْمَلَ كُلَّ هذِهِ الأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي"** (28) وهكذا لم تكـن لـه مشـاعر إدانـة نحـو الـذين تمـردوا عليـه. لقـد بـرهن أنـه عبـد الله عنـدما أعلـن أن هـؤلاء النـاس لم يخطئـوا بـل أخطـأوا ضـد الله. وهنـا نجـد أقـل فكـر للدينونـة عنـد موسـى، وقـد تصـرف كعبـد مطيـع لله. كـان الإحسـاس الوحيـد لـدى موسـى، هـو أنهـم أخطـأوا ضـد الله، ثـم قـال إن الله سـوف يبتـدع شـيئاً جديداً ليثبـت لهـم صـحة قـول موسـى (30). وهكـذا أيّـد الله سـلطان موسـى، فهلكـت ثـلاث عـائلات ومـات مائتـان وخمسـون (27 - 35). طريـق العصـيان يقـود إلى الهاويـة ، لأن العصيان والموت متلازمـان. السـلطان هـو مـن صـنع الله، ومـن يقـاوم سـلطانه يحتقـر الله. إننـا نجد في موسى سلطاناً مفوضاً خالياً من رأي شخص ومن روح الإدانة.

الشفاعة والكفارة

رغـم أن كـل جماعـة إسـرائيل شـهدت انفتـاح الأرض وابتلاعهـا للعصـاة، ورغـم أنهـم هربـوا مـرتعبين، إلا أن رعـبهم كـان بسـبب العقـاب فقـط، ولم يخـافوا الله. لم يفهمـوا موسـى وظلـت قلـوبهم كمـا هـي، حتـى أنهـم تـذمروا جميعـاً **"فِي الْغَدِ"** (عـد 16: 41) إن الحالـة الداخلية للإنسان تظل كما هي، ما لم يتم التعامل معها بنعمة الله.

قالـت كـل الجماعـة **"أَنْتُمَـا قَـدْ قَتَلْتُمَـا شَـعْبَ الـرَّبِّ"** (41). لكـن كيـف تصـرف موسـى وهـارون كسـلطتين مفوّضـتين؟ لقـد غضـب جـداً موسـى كإنسـان. وإذا كـان كـل مـا تم هكـذا كـان بواسـطة الله، فلمـاذا تـذمروا ضـده؟ ولمـاذا لم يتـذمروا مباشـرة ضـد الله؟ لقـد كـان رد فعـل الله أسـرع ممـا كـان لموسـى وهـارون، إذ غطـت السـحابة خيمـة الاجتمـاع (42). لقـد أتـى الله ليـدين الجماعـة ولـذلك طلـب مـن موسـى وهـارون أن يطلعـا مـن وسـطهم، وكـأن الله يقـول لهمـا: إن صـلاتكم بـالأمس كانـت خاطئـة، أمـا اليـوم فـإني سـوف أفـني كـل الجماعـة! وهنـا سـقط موسـى وهـارون علـى وجهيهمـا للمـرة الثالثـة **"فَخَـرَّا عَلَـى وَجْهَيْهِمَـا"** (45). إن

إحساس موسى الروحي جعله يعرف أن تلك المشكلة سوف لا تُحل بالصلاة فقط؛ وخطية اليوم كانت أشر من خطية الأمس، ولذلك طلب من هارون أن يأخذ فوراً مجمرته ويذهب إلى الجماعة ويصنع تكفيراً عنهم (46). نعم، لقد كان موسى مناسباً حقاً للسلطان المفوّض له. لقد أدرك النتيجة المأساوية القادمة على الشعب، وكان يأمل أن الله كريم في غفرانه. لقد كان قلبه مفعماً بالحب والشفقة، وهذا حنين الشخص الذي يعرف الله حقاً. لم يكن موسى كاهناً ولذلك طلب من هارون أن يكفر بسرعة عن الشعب، وهنا الشفاعة بالإضافة إلى الكفارة. وكان الوبأ قد بدأ في الشعب، ووقف هارون بين الأحياء والأموات، حتى وقف الوبأ، وكان الذين ماتوا بسببه أربعة عشر ألفاً وسبعمائة (49) ولو كان موسى قد تأخراً أكثر، لارتفع عدد الأموات كثيراً. إن نعمة التكفير التي كانت في موسى، كانت لغرابتها مشابهة لتلك التي كانت لربنا يسوع. لقد اهتم بشعب الله، وحمل مسئوليات المطيعين والمتمردين معاً. إن الشخص الذي يهتم بنفسه فقط ويشكوا من المسئولية التي يتحملها من أجل الآخرين، لا يصلح لتمثيل السلطة. إن أسلوب العمل يكشف نوع الشخص. كثيرون يهتمون بحفظ ماء الوجه وحساسون جداً لإنتقادات الآخرين، وتتركز كل أفكارهم حول الذات. وعلى أي حال، كان موسى أميناً في كل بيت الله، والخادم الأمين يتحمل أثقال الكثيرين حتى لو رفضوه أو احتقروه. ورغم أن بني إسرائيل تمردوا على موسى إلا أنه تشفع من أجلهم. إذا كنا نهتم بمشاعرنا فقط، فلن نتمكن من تحمل مشاكل أولاد الله. إن شوق الله أن تكون لنا نعمة في داخلنا، لأن هذه هي صفة كل الذين هم سلطة.

15. أساس السلطات المفوّضة

القيامة

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: "كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخُذْ مِنْهُمْ عَصًا عَصًا لِكُلِّ بَيْتِ أَبٍ مِنْ جَمِيعِ رُؤَسَائِهِمْ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ. اثْنَتَيْ عَشَرَةَ عَصًا. وَاسْمُ كُلِّ وَاحِدٍ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَاهُ. وَاسْمُ هَارُونَ تَكْتُبُهُ عَلَى عَصَا لاَوِي، لأَنَّ لِرَأْسِ بَيْتِ آبَائِهِمْ عَصًا وَاحِدَةً. وَضَعْهَا فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ أَمَامَ الشَّهَادَةِ حَيْثُ أَجْتَمِعُ بِكُمْ. فَالرَّجُلُ الَّذِي أَخْتَارُهُ تُفْرِخُ عَصَاهُ، فَأُسَكِّنُ عَنِّي تَذَمُّرَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَتَذَمَّرُونَهَا عَلَيْكُمَا". فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْطَاهُ جَمِيعُ رُؤَسَائِهِمْ عَصًا عَصًا لِكُلِّ رَئِيسٍ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ. اثْنَتَيْ عَشَرَةَ عَصًا. وَعَصَا هَارُونَ بَيْنَ عِصِيِّهِمْ. فَوَضَعَ مُوسَى الْعِصِيَّ أَمَامَ الرَّبِّ فِي خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ. وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاَوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا " (عد 17: 1 – 8)

كان هدف هذه الحادثة، هو أن الله أراد تحرير شعبه من التمرّد ومن نتيجته أي الموت، كما أراد أن يثبت لهم أن جميع السلطات تأتي منه وأن له أساساً ومنطقاً في إقامتها، وعلى كل شخص يمنحه الله سلطاناً، أن يكون له هذا الاختبار الأساسي.

حياة القيامة هي أساس السلطان

"فَالرَّجُلُ الَّذِي أَخْتَارُهُ تُفْرِخُ عَصَاهُ" (عد 17: 5) العصا هي قطعة خشب وفرع من شجرة مقطوع من طرفيه، وكان حياً لكنه ميت الآن. كان سابقاً يسحب النسغ - سائل يجري في أوعية النبات - من الشجرة وكان قادراً على الإثمار. كانت كل العصى منزوعة الأوراق والجذور وصارت جافة وميتة. ولكن العصا التي تفرخ هي للرجل الذي يختاره الرب، مما يعني أن القيامة هي أساس الاختيار وأيضاً السلطة. في أصحاح (16) من سفر العدد، تذمر الشعب ضد السلطة المقررة بالله وفي هذا الأصحاح(17) يؤكد الله سلطانه الذي عيّنه، وأن القيامة هي أساس السلطان، وبذلك وضع نهاية لتذمرات الشعب. ليس للشعب الحق لسؤال الله عن السبب، لكنه تنازل بنفسه لكي يخبرهم عن الأساس الذي بموجبه يختار أصحاب السلطات، وهذا الأساس هو القيامة، وهو ما لم يجادل حوله الشعب. من الطبيعي أن هرون وبني إسرائيل هم جميعاً من آدم، وجميعهم أبناء الغضب

بحسب الحياة الطبيعية. لقد كانت الاثنتا عشر عصا متشابهة ولا حياة فيها، لكن أساس الخدمة يقع في منح حياة القيامة بعيداً عن الحياة الطبيعية، وهذا يشكل سلطة، فالسلطة لا تعتمد على الشخص بل على القيامة. لم يكن هرون مختلفاً عن الباقين سوى في اختيار الله له ومنحه إياه حياة القيامة.

العصا التي تفرخ تحفظ الناس متواضعين

الله هو الذي جعل العصا تفرخ، وهو الذي يضع قوة الحياة فيها. والعصا التي أفرخت تجعل صاحبها متضعاً وتوقف تذمر أصحاب العصى الآخرين. إن الفضل كله يعود إلى الله وعلينا أن نتواضع أمامه لأن الكنز في الأواني الأرضية الخزفية مظهراً أن فضل القوة هو منه وليس منا، ومن الغباء أن يفتخر أحد فالكل من رحمة الله وليس من سعي الإنسان. ليتنا ندرك بالتالي أن السلطان لا يقوم على أشخاصاً؛ والواقع أنه لا علاقة له بنا. ومن ذلك الحين فصاعداً، كلما استخدم هرون سلطانه في خدمة الله، كان يعترف قائلاً "إن عصاي ميتة مثل الأخرى، أمّا السبب الذي يجعلني أخدم دونهم وأن لي سلطاناً روحياً بخلافهم، لا يعود إلى العصى لأنها كلها متساوية، ولكن إلى رحمة الله واختياره". إن خدمة هرون لم تكن في قوة العصا، بل في القوة التي جعلت العصا تفرخ.

محك اختبار الخدمة هو القيامة

العصا تمثل موقف الإنسان، والتفريخ يمثل حياة القيامة. كانت الاثنتا عشرة عصا متساوية بالنسبة لمواقفها القيادية على الأسباط الإثنى عشر، وكان هرون ممثلاً لسبط لاوي، ولم يخدم الله على هذا الأساس وإلا اعترض قادة الأسباط الأخرى. كيف حل الله المشكلة؟ عصا الرجل التي تفرخ، هو المختار من الله. هذه هي حياة من موت. إن الذين اجتازوا الموت ثم قاموا هم المعينون بالله خداماً له. إن محك الخدمة هو القيامة. بعدما جعل الله عصا هرون أخرجت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً، ورأى القادة الآخرون ذلك، لم يفتح أحد فمه. السلطة إذن لا تأتي بالنضال، ولكنها من وضع الله إنها لا تعتمد على مكان القيادة، ولكن بالحري على اختبار الموت ثم القيامة. إن اختبار الناس لممارسة سلطان روحي، يقوم على أساس النعمة والاختيار والقيامة، وليس لأنهم مختلفون عن الباقين. إن الكبرياء لا يتطلب سوى الظلام والعمى! أمّا بالنسبة لنا، فربما نترك

عصيّنا مدى الحياة دون أن تفرخ، ذلك لأننا لم نعرف بعد السقوط على وجوهنا والاعتراف أننا لسنا مختلفين عن غيرنا.

الأغبياء هم المتكبرون

عندما دخل الرب يسوع أورشليم راكباً على جحش، صرخ الجمع "**أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!**" (مت 21: 9)، لو افترضنا في لحظة ما، أن الجحش بعدما سمع الصياح ورأى الأغصان على الطريق، رفع رأسه نحو الرب وسأله: هل هذا الهتاف لك أم لي؟ فهذا معناه أن الجحش لم يعرف شخص الراكب عليه. هكذا كثيرون من خدام الله. لم يكن هناك فرق بين الجحش والأتان، لكن المدح كان للرب. عندما رأى هرون عصاه قد أفرخت، كان رد فعله الفوري هو التعجّب، ربما سقط على وجهه وقال "كيف أفرخت عصاي، ألم تكن هي مثل بقية العصي؟ ولماذا يمنحني الله مثل هذا المجد والقوة؟ إني من ذاتي لا أفرخ، لأن المولود من الجسد هو جسد، وأنا واحد من شعب الله". ربما اختلط الأمر بالنسبة للآخرين، لكنه كان واضحاً مع هرون، وقد علم أن الله هو الذي أعطاه كل سلطانه الروحي، ولا يحق لأحد أن يفتخر. إن كنا نقبل رحمة اليوم، فذلك حسب إرادة الله. مَنْ هو الكُفء هذه الخدمة؟ إن كفايتنا من الله. إن الأمر الغريب أن يعيش إنسان في محضر الله ولا يتضع. ربما كان يتطلب الأمر مقداراً كبيراً من الغباء والثقة بالنفس، لكي يتخيّل الجحش أن مديح ذلك اليوم كان موجهاً له هو! ولكنه كان سوف يصاب بالخزي يوماً ما. صحيح أننا سوف نتمجد، لكن هذا المجد في المستقبل وليس الآن. إن درس التواضع يجب أن يتعلّمه الإخوة والأخوات. إننا نحتاج جميعاً إلى معرفة أن السعي في السباق لا يعتمد علينا ولو في أقل القليل، ولا نظن في أنفسنا أننا مختلفون عن غيرنا لأننا قد تعلّمنا بعض الدروس الروحية. إن الكل هو نعمة الله، والكل من الله، وشيء من أنفسنا. لقد علم هرون أن الله هو الذي جعل عصاه تفرخ، لأنه حدث بقوة فائقة للطبيعة. وقد استخدم الله هذه الوسيلة للحديث إلى هرون وإلى شعب إسرائيل، ومن ثم علم أن الخدمة كلها تأسست على التفريخ وليست على شخصه. ولعلنا اليوم عندما نخدم الله نعلم أن الخدمة تأتي من القيامة وتأتي القيامة من الله.

ما هي القيامة؟

القيامة تعني ما هو ليس طبيعياً وليس من الذات ولا قوة ذاتية.إنها ما لا أستطيع عمله أنا لأنها فوق قدرتي. أستطيع تلوين العصا ورسم الزهور عليها، لكني لا أستطيع أن أجعلها تفرخ. لم يسمع أحد قط أن عصا قديمة قد أفرخت؛ أو امرأة متقدمة في عمرها قد حبلت. لقد ولدت ساره أسحق، وهذا عمل الله، ولذلك فإن ساره تمثل القيامة، وهي إذن ما لا أستطيعه أنا لكنه في استطاعة الله، وهي ليست أنا بل القيامة هي الله، وهي لا تعتمد علي ومن أكون، لكنها تعتمد على الله. من التفاهة والغباء لو أن هرون ظن أن عصاه أفرخت لأنها أكثر استقامة وأكثر لمعاناً. لو ظننا في أنفسنا ولو لحظة واحدة أننا أفضل من غيرنا، فهذا هو منتهى الغباء في العالم. إن الفرق يأتي من الله.

إسحق يعني ضحكاً، و ساره ضحكت لأنها علمت أن عمرها لا يسمح لها بالأنجاب، وإعتبرته مستحيلاً، ولذلك دعا الله ابنها باسم إسحق. وفي خدمتنا لله، يمكن أن نضحك ويقول كل منا: أنا لا أستطيع، وأعلم تماماً أني عاجزاً، لكن هذا هو عمل الله. إذا كان هناك أي مظهراً للسلطان، فهو عمله وليس عملنا نحن.

القيامة هي القاعدة الدائمة للخدمة

لقد أعاد الله كل العصى إلى أصحابها ما عدا تلك التي كانت لهرون، وقد أمر بحفظها في التابوت كذكرى أبدية. وهذا أن القيامة هي القانون الدائم للخدمة. ما لم تمر الخدمة خلال الموت والقيامة، فهي غير مقبولة من الله. وما يقوم ثانية هو الذي من الله وليس منا. إن كل الذين يحسبون أنفسهم مستحقين للمديح، لا يعرفون ما هي القيامة، أمّا الذين يعرفونها فهؤلاء قد احتقروا أنفسهم؛ وإذا استمرت القوة الطبيعية تختفي قوة القيامة. إن قوة الله العظمى لم تظهر في الخليقة، بل ظهرت في القيامة. يجب علينا أن نصل إلى مكان حيث نحسب أنفسنا لا شيء، ونعترف بأن كل شيء مائت هو منا، وكل ما هو حي فهو من الله. إن الله لا يمكن أن يسيء الفهم، ولكننا نحن الذين عادة نسيء التفسير. كان من المستحيل أن سارة تتخيل أن إسحق قد وُلد بقوتها هي، وليت الله يقودنا حتى لا نسيء فهم أعماله. إننا مجرد وكلاء لسلطان الله، وهذا المفهوم يجعلنا أهلاً للسلطة المفوّضة. وإذا ماحاولنا أن نمارس السلطان كما لو أنه منا، فإننا نفقد هذا السلطان فوراً. إن العصا الجافة تنشر الموت، لكن حيث القيامة فهناك سلطان، لأن السلطان يمكن في القيامة

ولـيس في مـا هـو طبيعـي، وبمـا أن كـل مـا نملكـه هـو الطبيعـي، فـلا سـلطان لنـا إلا مـن الـرب. **"وَلَكِنْ لَنَـا هَـذَا الْكَنْـزُ فِـي أَوَانٍ خَزَفِيَّـةٍ لِيَكُـونَ فَضْـلُ الْقُـوَّةِلِلهِ لاَ مِنَّـا"** (2كـو 4: 7)، وهنـا يقـارن الرسـول نفسـه بآنيـة خزفيـة، والكنـز بقـوة القيامـة، وهـي القـوة المسـندة إليـه. بالنسـبة لنفسـه فقـد كـان متضـايقاً في كـل شـيء، ولكـن مـن خـلال الكنـز لم ينسـحق. مـن جانـب، هنـاك مـوت، لكـن مـن الجانـب الآخـر هنـاك حيـاة. لقـد كـان كـثيراً علـى وشـك المـوت، لكنـه في الوقـت ذاتـه أظهـر حيـاة، وكلمـا عمـل المـوت فيـه، ظهـرت الحيـاة أكثـر. إننـا نجـد مركـز خدمـة بـولس في الأصـحاحين الرابـع والخـامس مـن رسـالته الثانيـة إلى أهـل كورنثـوس، وقاعـدة خدمتـه هـي المـوت والقيامـة. مـا بداخلـه هـو مـوت، أمّـا الـرب ففيـه قيامـة. ليتنـا لا نخطـئ، فـإن السـلطان هـو مـن الله، وأمّـا نحـن فمجـرد حـافظين لسـلطان الله علـى الأرض، لكننـا لسـنا سـلطاناً ولا سـلطات مـن أنفسـنا. إننـا مجـرد عصـى أمـام الله، لكـن عصـا القيامـة هـي فقـط الـتي تسـتمر في محضـر الله. ولكـي تكـون سـلطة مفوّضـة، لا يكفـي إظهـار القليـل مـن القيامـة، لكـن يجـب أن تعطى العصا فروخاً وأن تزهر زهراً وتنضج لوزاً، حتى تصبح قيامة ناضجة.

16. سوء إستخدام السلطة ونظام حكم الله

"يُضَمُّ هَارُونُ إِلَى قَوْمِهِ لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ قَوْلِي عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةَ" (عد 20: 24)

"وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: اصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (تث 32: 48- 51)

السلطة المفوّضة هي لتقديس الله

بعد ثلاثين عاماً من التجوال في البرية، نسى شعب إسرائيل الدروس التي تعلّموها من عصيانهم. وعندما أتوا إلى برية صين ولم يجدوا ماء تخاصموا مع موسى وهرون، ولكن الله لم يغضب منهم، لكنه أمرهما أن يأخذا العصا ويكلما الصخرة فتخرج لهم ماء. أخذ موسى العصا رمزاً لسلطان الله في يده، لكنه كان مغتاظاً من الشعب واعتبرهم "مردة" وتجاهل أمر الله، وضرب الصخرة مرتين بالعصا. لقد أخطأ، لكن الماء تدفق من الصخرة، ولهذا السبب، وبخهما الله لأنهما لم يؤمنا به ولم يقدساه أمام الشعب. لقد أساء موسى تمثيل الله، وكانت له روح خاطئة، فأخطأ في ضرب الصخرة، ولذلك لم يوبخ الله الشعب، إذا كان يريد أن يعطيهم ماء. لكن موسى وبخهم، وهكذا أعطاهم انطباعاً خاطئاً عن الله، كما لو أنه كان عنيفاً وقليل الرحمة. السلطان هو الإنابة عن الله، سواء كان في الغضب أو الرحمة، فالسلطان يجب أن يكون مثل الله، وفي مثل هذا الموقف إذا أخطأنا فذلك هو عملنا نحن، ولا يجب أن نرفق خطأنا بالله. ولأن موسى أساء تمثيل الله، ولم يعترف بذلك، قام الله بتبرير نفسه. ثم أظهر للشعب أن ما حدث كان من صنع موسى وليس منه هو. ربما كان موقف الشعب هو العصيان، لكن الله لم يحكم عليهم بالإدانة، وكان موسى أسرع من الله في إدانتهم وفي الحديث الغاضب إليهم. كان موقفه هو وغضبه هو، لكن الشعب شعر وكأنه موقف الله نفسه وغضب الله. ولذلك اضطر الله أن يُبرئ نفسه

بالانفصال عن موسى وهرون... إن السلطة المفوّضة هي لتدبير أمور الله، ولا يجب أن نسحب الله في أخطائنا نحن، وما أخطر أن نخلط أمورنا الخاصة بتلك التي هي من الله.

ما أسهل تعرضنا للخطأ، فإذا أخطأنا، دعونا ندركك فوراً أنه خطأنا نحن ولا نسيء تمثيل الله في سلطانه، ولا نعطي للشرير فرصة. إذا اعترفنا أولاً، فلا حاجة لله أن يدافع عن نفسه، وسوف نتحرر نحن من السقوط في دينونته.

ما أخطر السلطة المفوّضة

كانت نتيجة ما حدث إعلان الله أنهما - موسى وهرون - لم يُسمح لهما بدخول كنعان. إذا تكلم إنسان بإهمال، وتصرف بطريقة لا تقدّس الله، فإنه من اللحظة التي يخطو الله فيها لتبرير نفسه، فلا سبيل إذن لطلب الغفران. إننا يجب أن نخاف ونرتعب عندما نتناول أمور الله، ولنتحذر من الإهمال أو التهور. عندما اشتعل موسى غضباً وكسر لوحي الشريعة، لم يوبخه الله. لقد لمس غيرة قلب الله، فكان غضبه مبرراً. أمّا بعد اتباعه للرب سنوات هذه عددها، ثم يفشل أن يعمل كأمر الله فيضرب الصخرة مرتين ويتسرع في الكلام، فهنا يسيء موسى تمثيل الله، وهذا لم يدخل كنعان. لقد عصى شعب إسرائيل الله عدة مرات، لكنه كان صبوراً معهم، أمّا موسى وهرون فقد ارتكبا خطأ مرة واحدة، ومُنعا من كنعان، مما يبيّن خطورة السلطة المفوّضة، فالله حاسم جداً مع الذين يمثلونه. قال الله هرون "**أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَيْتُ أَبِيكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ الْمَقْدِسِ، وَأَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ كَهَنُوتِكُمْ**" (عد 18: 1). كلما زادت السلطة المفوّضة، اشتدت معاملة الله مع حاملي هذه السلطات. يقول الرب "**فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ**" (لو 12: 48) من الجميل حقاً أن نرى صورة موسى وهرون وأليعازر ابنه يصعدون معاً على جبل هور، في طاعة و إتضاع وقبول لقضاء الله. لقد علم هرون أن يومه قد أتى وموسى أيضاً كان يدرك مستقبله. أمر الله أن يقوم موسى بعملية نقل السلطة لأنه كان الشخصية الرئيسية أيضاً في مسألة ماء مريبة. وكيفما رأى موسى ذهاب هرون، فقد عرف كيف سوف يذهب هو أيضاً. حالما خلع هرون ثيابه، مات لأن حياته كانت باقية من أجل الخدمة. وهذا يعني أن حياة مَنْ يخدم الرب تنتهي بانتهاء خدمته. ثم مرت سنوات عديدة، ولم يتغير قضاء الله، وتعامل مع موسى بالطريقة ذاتها مثل هرون، فقد دعاه إلى جبل نبو ومات هناك. وقبل موته، بارك موسى الشعب بنشيد، لكنه لم يطلب إعفاءه من

القضاء (تث 33) لقد اتضع تماماً تحت يد الله القدير. لا شيء أكثر جدية وأحق بالاعتبار، من الحذر ضد الخطأ في السلطة المفوّضة. وعند تنفيذ هذه السلطة، يجب أن نتحد مع الله. وإذا حدث خطأ ما، فلنسرع في فصله عن الله لئلا ننال دينونة ؛ وقبل تقرير شيء ما، يجب أن نطلب معرفة فكر الله ونتممه في اسمه، ولابد من خوف الله وتقديره؛ وهذا يستلزم السيطرة على الروح وعلى الفهم لاسيما وقت الإثارة. وكلما عرفنا الله أكثر، زاد اهتمامنا بكل شيء. هناك أوقات يمكن أن يحصل الإنسان فيها على الغفران بعد السقوط تحت حكم قضاء الله، لكن هذا لا يحدث على الدوام، إذ لا يجب التعدي على قضاء الله.

السلطة المفوّضة يجب أن لا تخطئ

لكي يزكي الله خدمتنا له، لا يجب أن نخدم بقوتنا الذاتية، بل نخدم على أساس القيامة. وكما ذكرنا إننا في أنفسنا لا نملك سلطاناً ولكننا ممثلون له فقط، ومن ثم لا مجال للجسد. وربما نسبب مشاكل إذا فعلنا شيئاً بحسب نزواتنا الخاصة. والخوف في الكنيسة ليس من عدم وجود سلطان، بل من السلطان الخاطئ أيضاً. ولدى الله فكر واحد وهو تثبيت سلطانه هو. الخضوع للسلطان داخل الكنيسة، يجب أن يكون مطلقاً، وبدون هذا الخضوع، لا توجد كنيسة. وبالمثل فإن موقف الخوف والرعب في أولئك الممثلين للسلطان، يجب أن يكون مطلقاً. هناك صعوبتان في الكنيسة: نقص الخضوع المطلق، ووجود السلطة الخاطئة. نحتاج أن نتعلّم أن لا نتكلم بلا اكتراث ولا أن نقدم رأياً عفوياً، ويجب أن تبقى أرواحنا مفتوحة نحو الرب ونتوقع ضياءه علينا، وإلا سوف نسحب الله إلى أخطائنا ونفعل أموراً باسمه ولكنها ليست منه. ولهذا السبب، يجب أن نتعلّم من جانب واحد أن نخضع، ومن الجانب الآخر كيفية تمثيل الله. هذا يعني ضرورة معرفة الصليب والقيامة، ويعتمد مستقبل الكنيسة على مقدار تعلّمنا هذه الدروس.

السلطان يأتي من الخدمة، والخدمة من القيامة

إن سلطة الشخص تعتمد على خدمته، وخدمته بالتالي تعتمد على القيامة. إذا لم تكن هناك قيامة، فليس هناك خدمة ولا سلطة. لقد جاءت خدمة هرون من القيامة، وبدون ذلك، لم يكن قادراً على خدمة الله مطلقاً، ولا يقيم الله أحداً ويعطيه سلطاناً إلا إذا كانت له خدمة. إن السلطة اليوم لم تعد مسألة مركز. وإذا ضعفت الخدمة الروحية فلا مجال لسلطة موضوعية. إن كل مَنْ له خدمة روحية أمام الله، له أيضاً سلطان أمام الناس.

وهـذا يعـني أن خدمـة الإنسـان الروحيـة تعطيـه سـلطان وسـط أولاد الله. وكمـا أن الخـدمات يوزعهـا الله، هكـذا السـلطان يتقـرر بواسـطته، فـلا مجـال إذن للحـرب مـن أجـل السـلطة الروحيـة. كـل السـلطان يقـوم علـى الخدمـة. امتلـك هـرون سـلطاناً لأنـه كـان لـه خدمـة أمـام الله، واسـتطاع بمجمرتـه أن يكفـر عـن الشـعب ويوقـف الوبـأ، بينمـا مجـامر المـائتين والخمسـين مـن القـادة صـارت ملعونـة مـن الله. كـان عصـيان (عـد 16) موجهـاً لـيس فقـط ضـد السـلطان بـل أيضـاً ضـد الخدمـة؛ وسـلطة الفـرد لا يمكـن أن تتعـدى خدمتـه. لا يجـب علينـا محاولـة إبـراز سـلطة خـدمتنا. إن موقفنـا هـو عـدم شـغل أنفسـنا بـأمور عظيمـة جـداً أو عاليـة جـداً **"يَـا رَبُّ، لَـمْ يَرْتَفِـعْ قَلْبِـي، وَلَـمْ تَسْـتَعْلِ عَيْنَـايَ، وَلَـمْ أَسْـلُكْ فِـي الْعَظَـائِمِ، وَلاَ فِـي عَجَائِـبَ فَـوْقِي"** (مـز 131 :1) ولكـن دعونـا نـتعلّم الإخـلاص أمـام الله وبحسـب نصـيبنا. يتصـوّر إخـوة كـثيرون خطـأ أنهـم يحصـلون علـى السـلطان عشـوائياً، غـير عـالمين أن السـلطان الـذي يـأتي مـن الخدمـة لا يجعلـه سـيداً علـى أولاد الله. إن سـلطان الفـرد أمـام النـاس يتسـاوى مـع خدمتـه أمـام الله؛ ومقيـاس الخدمـة يحـدد نسـبة السـلطة إذا تعـدت الخدمـة، أصـبحت مركزيـة أي متعلّقـة بـالمركز، وليسـت بعـد روحيـة. إذا أخطـأت السـلطة المفوّضـة، فـالله يـأتي للدينونـة، إن المبـدأ الأسمـى في حكـم الله هـو تـدبيره الخـاص. وبمـا أن الله يـود أن يعطينـا اسمـه ويسـمح لنـا باسـتخدامه – تمامـاً كمـا يثـق أحـدهم في ختمـه لنـا واسـتعمالنا لـه – لـذلك فإنـه يـبرر نفسـه إذا أسـأنا تمثيلـه. وسـوف يخـبر النـاس أن الخطـأ منـا ولـيس منـه. لقـد مـات هـرون، ومـات موسـى كـذلك، ولم يسـمح لهمـا بـدخول كنعـان، فهـل ناضـلا مـع الله؟ كـلا، لأنهمـا علمـا أن تبرئـة الله كانـت أهـم كـثيراً مـن دخولهمـا كنعـان. لقـد فضـلا أن يُمنعـا مـن دخـول كنعـان حتـى يظهـر بـر الله. ونـرى في (تـث32) أن موسـى تـألم لكـي يشـرح للشـعب أنهـا كانـت غلطـة إسـرائيل ولـيس الله. ولـذلك يجـب الاحتفـاظ بـالحق المطلـق. إن خـادم الله المخلّـص، لا يسـعى إلى طريـق سـهل أو ملائـم. إن بـر الله أهـم كـثيراً مـن وجـه الإنسـان. ورغـم أن موسـى وهـرون كـان لهمـا بعـض الأعـذار، لكنهمـا لم يجـادلا ولم يتوسـلا مـن أجـل نفسـيهما، مـع أنهمـا تشـفعا كـثيراً مـن قبـل لأجـل الشـعب، ومـا أثمـن مثـل هـذا الصـمت. لقـد فضـلا احتمـال الصـعوبة طالمـا أنهـا مـن أجـل الله. تتـدفق السـلطة مـن الخدمـة، وتتـدفق إلى قلـوب النـاس، وتجعلـهم مـدركين لله. وتنمـو الخدمـة مـن حيـاة القيامـة، وتتأصـل في الله. أمّـا عنـدما يسـيء خـادم تمثيـل سـلطة الله، فـإن خدمتـه تتوقـف، ولـذلك دعونـا نـتعلّم كيفيـة الحفـاظ علـى شـهادة الـرب، ولا نقـدم مشـورات بـلا مبـالاة لـئلا نقـع في دينونـة. ليـت الله يـنعم علينـا حتـى نسـير بمشـورته، وليتـه

يعطي نعمة لكنيستـه، وليتنا نصلي لكي يُظهر الله سلطانه في الكنيسة، ويعرفنا بسلطانه، فلا يسيء استخدامه أي واحد له مسئولية، ولا يسيء فهمه أي واحد تابع لهذا السلطان وعندما يعرف كل واحد مكانه، سوف يتخذ الله طريقه.

17. السلطات المفوّضة يجب أن تكون تحت سلطان

"وَلَمَّا رَجَعَ شَاوُلُ مِنْ وَرَاءِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: "هُوَذَا دَاوُدُ فِي بَرِّيَّةِ عَيْنِ جَدْيٍ". فَأَخَذَ شَاوُلُ ثَلاَثَةَ آلاَفِ رَجُل مُنْتَخَبِينَ مِنْ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَذَهَبَ يَطْلُبُ دَاوُدَ وَرِجَالَهُ عَلَى صُخُورِ الْوُعُولِ وَجَاءَ إِلَى صِيَرِ الْغَنَمِ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ. وَكَانَ هُنَاكَ كَهْفٌ فَدَخَلَ شَاوُلُ لِكَيْ يُغَطِّيَ رِجْلَيْهِ، وَدَاوُدُ وَرِجَالُهُ كَانُوا جُلُوسًا فِي مَغَابِنِ الْكَهْفِ. فَقَالَ رِجَالُ دَاوُدَ لَهُ: "هُوَذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ لَكَ عَنْهُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَدْفَعُ عَدُوَّكَ لِيَدِكَ فَتَفْعَلُ بِهِ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ". فَقَامَ دَاوُدُ وَقَطَعَ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ سِرًّا. وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ قَلْبَ دَاوُدَ ضَرَبَهُ عَلَى قَطْعِهِ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ، فَقَالَ لِرِجَالِهِ: "حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي، بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ، لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ" (1صم 24: 1- 6)

"وَقَالَ دَاوُدُ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ... حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ" (1صم 26: 10، 11)

"فَقَالَ دَاوُدُ لِلْغُلاَمِ الَّذِي أَخْبَرَهُ: "كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ شَاوُلُ وَيُونَاثَانُ ابْنُهُ؟" فَقَالَ الْغُلاَمُ الَّذِي أَخْبَرَهُ: "اتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي جَبَلِ جِلْبُوعَ وَإِذَا شَاوُلُ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ، وَإِذَا بِالْمَرْكَبَاتِ وَالْفُرْسَانِ يَشُدُّونَ وَرَاءَهُ. فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ فَرَآنِي وَدَعَانِي فَقُلْتُ: هأَنَذَا. فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: عَمَالِيقِيٌّ أَنَا. فَقَالَ لِي: قِفْ عَلَيَّ وَاقْتُلْنِي لأَنَّهُ قَدِ اعْتَرَانِيَ الدُّوَارُ، لأَنَّ كُلَّ نَفْسِي بَعْدُ فِيَّ. فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لاَ يَعِيشُ بَعْدَ سُقُوطِهِ، وَأَخَذْتُ الإِكْلِيلَ الَّذِي عَلَى رَأْسِهِ وَالسِّوَارَ الَّذِي عَلَى ذِرَاعِهِ وَأَتَيْتُ بِهِمَا إِلَى سَيِّدِي ههُنَا". فَأَمْسَكَ دَاوُدُ ثِيَابَهُ وَمَزَّقَهَا، وَكَذَا جَمِيعُ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ. وَنَدَبُوا وَبَكَوْا وَصَامُوا إِلَى الْمَسَاءِ عَلَى شَاوُلَ وَعَلَى يُونَاثَانَ ابْنِهِ، وَعَلَى شَعْبِ الرَّبِّ وَعَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُمْ سَقَطُوا بِالسَّيْفِ. ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ لِلْغُلاَمِ الَّذِي أَخْبَرَهُ: "مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟" فَقَالَ: "أَنَا ابْنُ رَجُل غَرِيبٍ، عَمَالِيقِيٌّ". فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: "كَيْفَ لَمْ تَخَفْ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتُهْلِكَ مَسِيحَ الرَّبِّ؟" (2صم 1: 5 – 14)
وَكَانَ بَعْدَ ذلِكَ أَنَّ دَاوُدَ سَأَلَ الرَّبَّ قَائِلاً: "أَأَصْعَدُ إِلَى إِحْدَى مَدَائِنِ (مدن) يَهُوذَا؟" (2صم 2: 1)

"وَسَارَ ابْنَا رِمُّونَ الْبَئِيرُوتِيِّ، رَكَابُ وَبَعْنَةُ، وَدَخَلاَ عِنْدَ حَرِّ النَّهَارِ إِلَى بَيْتِ إِيشْبُوشَثَ وَهُوَ نَائِمٌ نَوْمَةَ الظَّهِيرَةِ. فَدَخَلاَ إِلَى وَسَطِ الْبَيْتِ لِيَأْخُذَا حِنْطَةً، وَضَرَبَاهُ فِي بَطْنِهِ. ثُمَّ أَفْلَتَ رَكَابُ وَبَعْنَةُ أَخُوهُ. فَعِنْدَ دُخُولِهِمَا الْبَيْتَ كَانَ هُوَ مُضْطَجِعًا عَلَى سَرِيرِهِ فِي مِخْدَعِ نَوْمِهِ، فَضَرَبَاهُ وَقَتَلاَهُ وَقَطَعَا رَأْسَهُ، وَأَخَذَا رَأْسَهُ وَسَارَا فِي طَرِيقِ الْعَرَبَةِ اللَّيْلَ كُلَّهُ. وَأَتَيَا بِرَأْسِ إِيشْبُوشَثَ إِلَى دَاوُدَ إِلَى حَبْرُونَ، وَقَالاَ لِلْمَلِكِ: "هُوَذَا رَأْسُ إِيشْبُوشَثَ بْنِ شَاوُلَ عَدُوِّكَ الَّذِي كَانَ يَطْلُبُ نَفْسَكَ. وَقَدْ أَعْطَى الرَّبُّ لِسَيِّدِي الْمَلِكِ انْتِقَامًا فِي هذَا الْيَوْمِ مِنْ شَاوُلَ وَمِنْ نَسْلِهِ". أَجَابَ دَاوُدُ رَكَابَ وَبَعْنَةَ أَخَاهُ، ابْنَيْ رِمُّونَ الْبَئِيرُوتِيِّ، وَقَالَ لَهُمَا: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي فَدَى نَفْسِي مِنْ كُلِّ ضِيق، إِنَّ الَّذِي أَخْبَرَنِي قَائِلاً: هُوَذَا قَدْ مَاتَ شَاوُلُ، وَكَانَ فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ كَمُبَشِّرٍ، قَبَضْتُ عَلَيْهِ وَقَتَلْتُهُ فِي صِقْلَغَ. ذلِكَ أَعْطَيْتُهُ بِشَارَةً. فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِذَا كَانَ رَجُلاَنِ بَاغِيَانِ يَقْتُلاَنِ رَجُلاً صِدِّيقًا فِي بَيْتِهِ، عَلَى سَرِيرِهِ؟ فَالآنَ أَمَا أَطْلُبُ دَمَهُ مِنْ أَيْدِيكُمَا، وَأَنْزِعُكُمَا مِنَ الأَرْضِ؟" وَأَمَرَ دَاوُدُ الْغِلْمَانَ فَقَتَلُوهُمَا، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا، وَعَلَّقُوهُمَا عَلَى الْبِرْكَةِ فِي حَبْرُونَ. وَأَمَّا رَأْسُ إِيشْبُوشَثَ فَأَخَذُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي قَبْرِ أَبْنَيْرَ فِي حَبْرُونَ" (2صم 4: 5- 12)

"وَجَاءَ جَمِيعُ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى دَاوُدَ... وَمَسَحُوا دَاوُدَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ" (2صم 5: 1- 3)

لقد صار داود – في العهد القديم - الشخص الثاني الذي جعله الله ملكاً، وكان الملك شاول معيّناً بالله. كان داود هو السلطان الجديد المُقام بالله والممسوح الجديد بالرب، وكان شاول هو السلطة المرفوضة والممسوح في الماضي لأن روح الرب قد تركه. دعونا الآن نلاحظ كيف خضع داود للسلطان دون أن يحاول إقامة سلطانه الخاص؟

إنتظار الله لتنفيذ السلطة

قطع داود طرف جبة شاول، ثم ضربه قلبه (1صم 24)، وفي الأصحاح (26) أخذ داود رمح شاول وكوز الماء. وربما فكر أنه بأخذه هذه الأشياء، يثبت وجوده وربما يتم الإصغاء له. وعلى كل حال، هذا أسلوب محامٍ وليس طريق المؤمن فالمؤمن يهتم بالشعور وليس بالأسباب، وهو يتعامل مع الحقيقة وليس الدليل. صحيح أن داود تصرف أولاً كمحامٍ، ولكنه إذ كان يحمل مشاعر المؤمن، فقد ضربه قلبه فوراً. إننا كشعب أمام الله يهتم بالحقيقة وليس بالسياسة، ولذلك سوف لا نركز على تتابع الأحداث. ربما قطع الجبة

وأخذ الرمح و كوز الماء، يجعل الناس يصغون إلينا أفضل، لكن في الوقت ذاته سوف تضربنا قلوبنا. كان داود شخصاً خاضعاً للسلطان، ولم يبطل قط سلطان شاول، بل انتظر الله ببساطة حتى يقيم سلطانه، ولم يحاول أن يساعد الله في هذا العمل.

السلطات هي من اختيار الله والكنيسة

يحدثنا (2صم1) عن إنسان قتل شاول، لكن داود تحوّل وأدان القاتل. لماذا؟ لأن القاتل انتهك السلطان. ورغم أن التعدي لم يكن موجهاً مباشرة لداود، إلا أنه أدان العمل لأنه انتهاك السلطة. بعد موت شاول، سأل داود الرب عن المدينة التي يتوجّه إليها. من الناحية البشرية كان على داود ورجاله أن ينزلوا بسرعة إلى أورشليم لأن هناك القصر الملكي، وكانت تلك الفرصة لا يجب أن تضيع. لكنه سأل وقال له أن يذهب إلى حبرون، وهي مدينة صغيرة وليست ذات أهمية، وبذهاب داود إليها، كان معناه أنه لا يريد أن يخطف السلطة من ذاته، ولكنه انتظر أن يمسحه شعب الله. ولقد سبق أن مسحه صموئيل لأنه المختار بواسطة الله، والأن يهوذا قد مسحه، لأنه مختار الشعب. وهذا مثال لما يجب أن تفعله الكنيسة في اختياراتها. لم يستطيع داود أن يعارض أو يرفض أن يمسحه الشعب، ولم يقل مثلاً "طالما أن الله قد مسحني فلا احتياج لي لمسحكم إياي". إن مسحة الله شيء، ومسحه الشعب شيء آخر، ويجب أن يوجد الاختياران معاً؛ ولا يستطيع أحد أن يقحم نفسه على الآخرين.

استمر داود في حبرون سبع سنوات، وهي فترة ليست قصيرة، لكنه ظل صابراً. إن الله لا يختار أبداً شخصاً ويعطيه سلطاناً، إذا كان منتفخاً في ذاته أو يسعى لمجده الشخصي. بما أن بيت يهوذا فقط هو الذي مسحه، فقد ملك عليهم أولاً، أمّا بالنسبة لباقي الشعب، فلم يقلق بل انتظر، حتى ملك عليهم بعد ذلك لمدة ثلاثة وثلاثين عاماً. إن كل الذين يعرفون الله، يستطيعون الانتظار. وإذا كان حال الإنسان صالحاً، فسوف يقر الله به ممثلاً عنه، وتقر الكنيسة به ممثلاً لله. ليتنا لا نصارع بالجسد، ولا حتى لرفع أصبع واحد، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه السلطة المعيّنة من الله وأن الجميع يجب أن يخضعوا له. يجب علينا أولاً أن تكون لنا خدمة روحية أمام الله، ثم في وقته سوف ندخل إلى وسط أولاد الله لكي نخدم الرب.

الاحتفاظ بالسلطة

لماذا اضطر داود أن ينتظر في حبرون؟ لأن بعد موت شاول، خلفه ابنه إيشبوشث ملكاً في أورشليم. وبعد ذلك قتله ركاب وبعنة وأتيا برأسه إلى داود، واعتقدا أنهما قد حملا إليه خبراً ساراً، لكن داود قتلهما، لأنهما تعديا على السلطان. كلما عرف الواحد كيف يكون سلطاناً، زادت قدرته لإبقاء هذا السلطان. لا يجوز لأحد أن يسمح بتدمير سلطة آخر في سبيل إقامة سلطته هو. وإذا وجد عصيان ضد السلطة - حتى لو لم يكن موجهاً ضدك - فلابد من إدانته.

لا سلطان أمام الله

يخبرنا (2صم 6) أن داود رقص أمام تابوت الرب واحتقرته ميكال بنت شاول في قلبها، لأنها اعتقدت أنه باعتبار داود ملكاً، كان عليه أن يتقدّس أمام شعب إسرائيل، بمعنى أن يحتفظ بوقار كما كان يفعل أبوها. أمّا بالنسبة لداود فكان الأمر مختلفاً، فقد شعر أنه لا وجود لسلطان على الإطلاق في محضر الله. لقد ارتكبت ميكال خطأ أبيها، والذي بعد ما رفضه الله لأنه عصى أمره وعفا عن خيار الغنم، فقد طلب من صموئيل النبى أن يكرم وجهه أمام شعب إسرائيل. والنتيجة أن الله قبل داود وأدان ميكال بأن أغلق رحمها. ربما حتى الآن كان الذين يسيرون في طريق ميكال، ينالون العقاب ذاته. إن كل من له سلطة مفوّضة عليه أن يكون وديعاً ومتواضعاً أمام الله وأمام شعبه، ولا يجب أن يرتفع ذهنه ولا يسعى للاحتفاظ بسلطته الشخصية بين الناس. ومع أن داود كان ملكاً على العرش، إلا أنه كان كواحد من الناس أمام تابوت الله؛ أمّا ميكال فقد ظنت أن داود يبقى ملكاً أيضاً في محضر الله، لذلك لم تحتمل منظره وهو يرقص أمام التابوت ومن ثم احتقرت داود وقال "**مَا كَانَ أَكْرَمَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ!**" (2صم 6: 20)، ربما يتم اختيار البعض أن يكونوا في سلطات، لكن الجميع يتشابهون أمام الله.

لا إحساس ذاتي بالسلطة

إني أحب هذه الكلمات "**فَدَخَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَجَلَسَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: مَنْ أَنَا يَا سَيِّدِي الرَّبَّ؟ وَمَا هُوَ بَيْتِي حَتَّى أَوْصَلْتَنِي إِلَى ههُنَا؟**" (2صم 7 : 18) الهيكل لم يكن قد تم بناؤه بعد، وكان التابوت في خيمة، وجلس داود على الأرض، وهناك صنع الله عهداً مع داود، وقدم داود صلاة ممتازة. إننا نجد في هذه الصلاة مشاعر حساسه. قبل أن يصبح ملكاً،

كـان داود محاربـاً قـديراً ولم يقـف أحـد أمامـه، وبعـدما أصـبح ملكـاً، جلـس باتضـاع علـى الأرض واسـتمر رجـلاً متواضـعاً. أمّـا ميكـال الـتي وُلـدت في القصـر، فقـد أرادت الاحتفـاظ بعظمتهـا مثـل والـدها ولم تفـرق بـين رجـل يـذهب إلى محضـر الله، وبـين رجـل مطـرود مـن محضـره. إن الخـروج يعـني الحـديث والعمـل نيابـة عـن الله بسـلطان، أمّـا الـدخول إلى محضـر الله، فـيعني السـجود عنـد قـدمي الـرب وإدراك تفاهـة الإنسـان. كـان داود هـو بحـق الملـك المعيّن مـن الله، إذا كـان لـه سـلطان الله. إن السـيد المسـيح لم يكـن فقـط ابـن إبـراهيم بـل ابـن داود أيضـاً. إن اسـم آخـر ملـك يُـذكر في الكتـاب المقـدّس كلـه هـو اسـم داود. ولـيس هـذا غريبـاً، فمع أنـه ملـك، لكنـه لم يستشـعر ملوكيتـه أبداً، بـل بعدم اسـتحقاقه المسـتمر هـذا الملـك. إن مَـنْ يظـن أو يشـعر أنـه سـلطان، فهـو غـير مسـتحق هـذا السـلطان. وكلمـا تمتـع بالسـلطة، قـل إحساسـه بهـا. إن الـذي يمثـل سـلطان الله، عليـه أن يتمتـع بهـذا التنـاقض المبـارك: أن تكـون لـه سـلطة وألا يشـعر أنـه صـاحب سـلطة! السـلطة لا تحتـاج إلى دعـم ذاتـي كـان عصـيان أبشـالوم مزدوجـاً، فهـو كـابن عصـى أبـاه، وكمـواطن ثـار ضـد الحكـم. وعنـدما هـرب داود كـان في أشـد الحاجـة إلى مـرافقين، ومـع ذلـك قـال لإتـأي "**لِمَـاذَا تَـذْهَبُ أَنْـتَ أَيْضًـا مَعَنَـا؟ اِرْجِـعْ وَأَقِـمْ مَـعَ الْمَلِـكِ لأَنَّـكَ غَرِيـبٌ وَمَنْفِـيٌّ أَيْضًـا مِـنْ وَطَنِـكَ**" (2صم 15: 19) مـا أرق قلـب داود! فحتـى في ضـيقه، لم يشـأ أن يأخـذ النـاس معـه. ربمـا يصـعب معرفـة إنسـان في قصـر، لكنـه يتعرى في وقت الشدة.

ثـم أتـى الكهنـة بالتـابوت، ولـو كـان التـابوت قـد ذهـب مـع داود، فكـثيرون مـن الشـعب سـوف يتبعونـه بكـل تأكيـد. لكـن داود ارتفـع فـوق ضـيقته، ولم يسـمح للتـابوت بإتباعـه، بـل تـرك الأمـر لله في خضـوع تـام وقـال "**فَـإِنْ وَجَـدْتُ نِعْمَـةً فِـي عَيْنَـيِ الـرَّبِّ فَإِنَّـهُ يُرْجِعُنِـي وَيُرِينِـي إِيَّاهُ وَمَسْكَنَهُ. وَإِنْ قَالَ هكَذَا: إِنِّي لَمْ أُسَـرَّ بِـكَ. فَهأَنَـذَا، فَلْيَفْعَـلْ بِـي حَسَـبَمَا يَحْسُـنُ فِـي عَيْنَيْـهِ**" (2صـم 15: 25، 26) وهكـذا أقنـع صـادوق وكـل الكهنـة بحمـل التـابوت والعـودة. ربمـا تبـدو هـذه الكلمـات سـهلة التعبير، لكنهـا صـعبة جـداً وقـت الهزيمـة والتراجـع. كـان الـذين هربـوا مـن المدينـة قلـيلين، أمّـا في أورشـليم فكـان الكـثيرون متمـردين. ومـع ذلـك أرسـل إلـيهم أفضـل أصـدقائه، ثـم صـعد عـاري الـرأس وحـافي القـدمين وباكيـاً علـى جبـل الزيتـون، وهكـذا اسـتمر وديعـاً ومتواضـعاً، ولم يشـعر أنـه محتـاج لتـدعيم سـلطانه، أمّـا كونـه ملكـاً فهـذا مـا يقـرره الله، ولا يعتمد على رحمة التابعين، ولا حتى على وجود التابوت معه.

السلطان يتحمل الإثارة

إن الروح العاصية مُعدية، وفي الطريق ظهر شمعي الذي سب داود "**قَدْ رَدَّ الرَّبُّ عَلَيْكَ كُلَّ دِمَاءِ بَيْتِ شَاوُلَ الَّذِي مَلَكْتَ عِوَضًا عَنْهُ، وَقَدْ دَفَعَ الرَّبُّ الْمَمْلَكَةَ لِيَدِ أَبْشَالُومَ ابْنِكَ، وَهَا أَنْتَ وَاقِعٌ بِشَرِّكَ لأَنَّكَ رَجُلُ دِمَاءٍ**" (2صم 16: 8) لكنه لم يجادله ولا سعى للانتقام أو المقاومة، مع أن رجاله الأقوياء كانوا معه وكان في قوته أن يقتل شمعي، لكنه منعهم من ذلك، وبإنكسار تركه يلعن. كان داود في ذلك الحين وحيداً ويائساً، وكان أقل القليل أن يثور على شمعي، لكن داود كان رجل الطاعة الكاملة، وخضع لله وقبل كل شيء كأنه قادم من الله. ليت الجميع يتعلّمون هذا الدرس، أن رجل السلطة الذي يقيمه الله، عليه أن يتحمل الإثارة. أمّا إذا ظننت أنه لا يمكن التعدي على سلطانك، فأنت لست مؤهلاً لهذا السلطان، ولا تظن أنك تستطيع ممارسة سلطانك بحرية طالما أنك معيّن من قبل الله. إن المطيع هو وحده المؤهل للسلطان.

الإتضاع تحت يد الله القدير

لم يعد داود على الفور إلى قصره بعد موت أبشالوم. لماذا؟ لأن أبشالوم قد أقامه الشعب ملكاً، فكان لزاماً على داود أن ينتظر. ثم جاءت الأسباط الأحد عشر إلى الملك وطلبوا منه العودة، لكن سبط يهوذا استمر صامتاً، فأرسل داود رسالة إليهم لكي يستميل قلوبهم، لأنه هو نفسه كان من ذلك السبط. لقد انتظر حتى يطلبه كل الشعب. كان حقاً أن داود قد تعيّن أصلاً بالله، لكن عندما واجهته التجارب، فقد تعلّم أن يتضع تحت يد الله القدير، ولم يقلق ولم يحارب لنفسه، بل كانت كل معاركه من أجل شعب الله. إن كل الذين يستخدمهم الله ليكونوا أصحاب سلطان، يجب أن يتمتعوا بروح داود. لا يجب أن يدافع أحدهم عن نفسه أو يكثر الحديث عن نفسه. ليتنا نتعلّم الانتظار والاتضاع أمام الله، ومن يعرف الطاعة أكثر، يكون هو المؤهل الأفضل السلطة، وكلما ارتمى الشخص أمام الله، كانت تبرئة الله له أسرع.

"وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي قَائِلَيْنِ: "يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا". فَقَالَ لَهُمَا: "مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا؟ " فَقَالاَ لَهُ: "أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ". فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: "لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟" فَقَالاَ لَهُ: "نَسْتَطِيعُ". فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: "أَمَّا الْكَأْسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ". وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: "أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا، يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا" (مر 10 : 35 – 44)

كأس الرب وصبغته (معموديته)

بينما كان الرب على الأرض، فإنه نادراً ما علّم الناس كيفية التمتع بالسلطة، إذا لم يكن ذلك هدف مجيئه إلى العالم. أمّا أوضح جزء كتابي للرب عن السلطان هو ما ورد في (مر 10)، وهنا أظهر الرب الطريق إلى السلطة. لقد بدأ الموضوع مع يعقوب ويوحنا، وقد إشتاقا إلى الجلوس على جانبي السيد في مجده، وبذلك عبرا عن أمرين، أولهما أن يكونا قريبين من الرب، وثانيهما هو الحصول على سلطة أكثر، وربما كان هما الحق في الأمر الأول دون الثاني. لكن كيف أجابهما الرب؟ لقد أوضح أنهما لم يدركا ما قد طلباه منه. لم يرفض الرب رغبة القرب منه ولا الوجود في مركز سلطة، كما لم يجد خطأ في الشوق نحو الجلوس عن يمينه أو يساره، ولكنه أجاب ببساطة أن عليهما أن يشربا كأسه وأن يصطبغا – يعتمدا– بصبغته قبل أن يتمكنا من الجلوس عن يمينه أو يساره، وهكذا لا يحصلان على ما طلباه بمجرد السؤال والرغبة. ولذلك يتضح أنه ما لم يشرب أحد كأس الرب ويقبل معموديته، فإنه لن يقترب من الرب ولن ينال سلطاناً.

كان هناك كأس موضوعاً أمام الرب في بستان جثسيماني، وصلى يسوع "**يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ**"(مت 26: 39) في تلك اللحظة لم تكن الكأس وإرادة الله شيئاً واحداً، وكان يمكن عبور الكأس (زواله) ولكن الإرادة لا تتغير. ربما لم يكن الرب محتاجاً لشرب الكأس رغم أنه يرغب تماماً في عمل إرادة الله. لقد كان موقفه أنه إذا كانت إرادة الله له أن يشرب فسوف يشربه، أمّا إذا كانت إرادة الله أن لا يشرب فلن يشرب الكأس. إن التأكيد في ذلك البستان عما إذا كانت الكأس بحسب إرادة الله أم لا. وبعدما صلى هكذا ثلاث مرات فقد علم أن الكأس وإرادة الله أصبحتا شيئاً واحداً، ومن ثم قال بسرعة "فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ:"**اجْعَلْ سَيْفَكَ فِي الْغِمْدِ! الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ أَلاَ أَشْرَبُهَا؟**" (يو 18: 11). إن هذا درس روحي عميق جداً. لم يكن الرب يسوع مشغولاً أساساً بالصليب، بل بعمل إرادة الله، وصحيح أن الصلب مهم للغاية، لكنه لا يعوّض عن إرادة الآب، لأن إرادة الله أعظم من الصليب، ومن أجل الآب، قبل يسوع أن يعلّق على الصليب. لم تكن للرب علاقة مباشرة بالصليب، ولكنه كان مرتبطاً مباشرة مع إرادة الله، واختياره كان موجهاً لإرادة الله وليس للصليب، وبالتالي فإن شربه للكأس كان يعني خضوعه لسلطان الله القدير في طاعة إرادته؛ ولذلك سأل يعقوب ويوحنا "**لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟**" (مر 10: 38). كثيرون قادرون أن يرتبطوا بالتكريس أو الألم أو العمل، لكن لابد أن نحتفظ بعلاقة مباشرة مع إرادة الله فقط. عندما ينشغل بعض الناس بالعمل، فإنهم لا يعودون يصلحون لشيء آخر، لأنهم يغرقون في عملهم، ولا يقبلون في ما بعد أية إرادة إلهية، بل يصرّون على المضي هكذا حتى النهاية، حيث إنهم لا يعملون من أجل إرادة الله، بل من أجل العمل ذاته. لم يكن الحال هكذا مع الرب، إذ كان عازماً على تنفيذ إرادة الله حتى لو كانت هي عدم الصلب! لكن ما أن اتضح له أن إرادة الآب هي الصليب، فقد قبلها فوراً أو بغض النظر عن آلامها المبرحة. إن سؤال الرب للتلميذين كان عن مدى استعدادهما للخضوع لله نظيره هو ، وهذا هو كأس الرب.

إن المطيعين لله، هم فقط المرتبطون بإرادة الله، وما عدا ذلك فهو خاضع للتغيير؛ وقبل أن يصنعوا إرادة الله، عليهم أولاً أن يخضعوا لسلطان الله. لقد وصل الرب يسوع إلى

قمة الطاعة في بستان جثيسماني، ولم يمزج بين الكأس وبين إرادة الله، بل كان موضوع طاعته هو إرادة الله، وليس الكأس، إذا اعتبر أن الطاعة لله هي أعظم من العمل أو الألم أو حتى الصليب. إن الكأس هي الطاعة المطلقة لإرادة الله. ما معنى إذن صبغة الرب؟ لا تشير إلي المعمودية في نهر الأردن لأن تلك حادثة سابقة، وهنا إشارة إلي المستقبل وإلي موته على الصليب: "**وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟**" (لو 12: 50) بمعنى أني أبقى منحصراً ومقيداً بالتجسد حتى الصليب - فالصليب إذن هو انطلاق الحياة، كما هو كفارة للخطية، فالله يطلق حياته من خلال الصليب. وحالما تنطلق حياة الله فإنها تلتهب مثل نار ملقاه على الأرض، وسوف تسبب انقساماً بدلاً من سلام، وأي شيء تلمسه النار سوف يحترق. سوف تنقسم البيوت، وسوف يكون هناك صراع بين المؤمنين وغير المؤمنين. وهذه صبغة الرب، وحيث تكون حياة هناك صراع لا سلام.

وكأن الرب يقول هنا: أنا أذهب إلى الصليب لكي تنطلق الحياة، ويتصارع الناس مع بعضهم البعض، فهل تستطيعان أن تفعلا كذلك؟ إن الصبغة ذاتها هي أولاً موت ثم انطلاق للحياة، والنتيجة أنها تقسم الناس. ويتشابه ذلك مع قول الرسول بولس "**إِذًا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلكِنِ الْحَيَاةُ فِيكُمْ**" (2كو 4: 12). يطرح قشرته الخارجية (الجسد) بالصبغة (موت الصليب) فتنطلق الحياة.

إن ما علينا هو أن نفعل الأمر نفسه، أي تحطيم الإنسان الخارجي حتى تتدفق الحياة الداخلية. عندما تنكسر قشرة الإنسان الخارجية، فإنه يصير قريباً جداً من الآخرين وتتدفق الحياة بسهولة. وإلا فإن الحياة سوف تستمر منغلقة ويصعب على الروح أن تنطلق، وهكذا طريق منح الحياة للآخرين يصبح مسدوداً. إن حبة الحنطة عندما تقع في الأرض وتنفجر قشرتها، تبدأ الحياة في تدفقها، ولذلك قال الرب "**فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا**" (مت 16: 25). لم يقل الرب للتلميذين أن يموتا بل يصطبغا لئلا يظن أحد أنهما إشتركا في الكفارة، وهي التي صنعها المسيح وحده. إننا لا نشترك في العمل الكفاري لموته على الصليب، أمّا بالنسبة لانطلاق الحياة بموته، فهذا ما نشترك فيه جميعاً وبالتالي فإن الرب يتحدث هنا فقط عن انطلاق الحياة بموته، وليس عن أي شيء يختص بالكفارة. يبدو هكذا كأنه يقول لنا "إن الصبغة التي أتقبلها، سوف تحطم القشرة الخارجية وتطلق الحياة، فهل أنتم مستعدون لمثل هذه الصبغة؟". ما لم ينكسر الإنسان، لا تنطلق الحياة. والإنسان غير المنكسر يحتفظ بمسافة كبيرة بينه وبين

الآخرين. ربما يجلس قريباً جداً من الناس، لكنه لا يستطيع أن يلمسهم، لأن حياته الداخلية عاجزة عن الانطلاق بحرية. وما أن تتدفق هذه الحياة، فإن الأرض تفقد سلامها وتقع في صراع، وينقسم كثيرون بسبب أولئك الذين هم هذه الحياة المتدفقة، ويصبح الفرق كبيراً بين الذين ينتمون للرب وبين الذين لا ينتمون إليه، وتقوم صعوبات كثيرة بين هؤلاء وأولئك؛ أي بين الذين يعرفون الله والذين لا يعرفونه؛ بين الذين يدفعون الثمن والذين لا يدفعون؛ بين المخلّصين وغير المخلّصين؛ بين الذين يقبلون التجارب والذين يرفضون. يبدو أن الرب كان يُلمّح إلى يعقوب ويوحنا كما يلي: "بما أنكما تطلبان الاختلاف عن الباقين وذلك بالجلوس عن يميني ويساري، فهل تقدران اليوم أن تتميزا عن باقي أولاد الله؟ يجب أولاً أن تشربا الكأس وتصطبغا قبل أن تستطيعا الجلوس عن يميني ويساري في المجد". لكن التلميذين ردا بلا تحفظ وقالا "نستطيع"! وبالرغم من ذلك، لم يعدهما السيد بشهوتهما، فحتى إذا كان السؤال خطأ، فإن إجابة الرب كانت صحيحة. إن فكر الرب هو، أنه ما لم يشرب الإنسان كأس الرب ويصطبغ بصبغته، لا يستطيع الجلوس عن يمينه أو يساره، وحتى لو شرب واصطبغ، قد لا يجلس على جانبه، لأن هذه الأماكن هي لمن أعدها لهم الله.

السلطة ليست سيادة بل خدمة بتواضع

استمر الرب في تعليمه عن موضوع السلطان، فدعا تلاميذه معاً وعلمهم عن أمور مستقبليه في المجد؛ وقال إن الناس في الأمم، تسعى إلى السلطة لكي يسودوا على الآخرين. حسن لنا أن نسعى للمجد القادم، لكن لا يجب أن يكون الأمم، وهم الذين يمارسون السلطان والحكم كما يشتهون، ويجب أن تختفي مثل هذه الروح من الكنيسة. إن الذين يستخدمهم الله هم أولئك الذين يعرفون كأس الرب وصبغته، وهؤلاء سوف يكون هم سلطان بطريقة طبيعية. إن الذين يطلبون ممارسة السلطان، لا يجب منحهم أي سلطة، والله لا يعطي سلطة لمثل هؤلاء. وكلما سادت روح الأمم على شخص ما، فقلما يستخدمه الله، والغريب أن الله يعطي سلطة للذين يستشعرون عدم ملاءمتهم. وهذا هو أسلوب الله، وهكذا يجب أن يكون أسلوبنا نحن؛ ولا يجب أن نعطي مركزاً لأحد خوفاً من تمرده، لأن الطريق في بيت الله ليس سياسياً بل روحياً. صحيح أن موقفنا يجب أن يكون لطيفاً ورقيقاً، لكن يجب أن نبقى أمناء أمام الله. على الإنسان أن يسقط أمام الله قبل أن يستخدمه الله، أمّا إذا ارتفع، فهو مرفوض من الله. ما أوسع الفرق في السلطة بين الأمم

وبين الكنيسة! إن الأمم تحكم من واقع المراكز، أمّا في الكنيسة فالحكم بخدمة الحياة الروحية. أمّا إذا وقعت الكنيسة في نظام الأمم ، فهذا خراب عظيم. يجب على الكنيسة أن تحتفظ بفاصل محدد عن الأمم.

العظيم هو الخادم

السلطان الذي يقيمه الله، يجب أن يكون له خلفية روحية، أي يجب أن يشرب الكأس بمعنى الطاعة المطلقة لإرادة الله؛ ثم عليه أن يقبل الصبغة، أي يقبل الموت لكي تنطلق الحياة؛ ثم عليه أيضاً أن لا تكون له أية نية لممارسة السلطان، بل بالعكس، عليه أن يستعد لكي يعمل كخادم للكل. وبتعبير متكافئ، عليه أن يتمتع بالأساس الروحي من جانب، ومن الجانب الآخر، يتمتع بروح الإتضاع؛ ولأنه لا يسعى أن يكون صاحب سلطان، فسوف يستخدمه الله كذلك. إننا نتحدث عبثاً عن السلطان ما لم يتم شرب الكأس وقبول الصبغة. ويعلن الله عن شخص أنه عظيم، إذا كان حقاً متواضعاً ويعتبر نفسه غير مؤهل لأي شيء إلا أن يكون خادماً للكل. إن شرط السلطان، هو الشعور بعدم الصلاحية وعدم الاستحقاق لهذا السلطان. ونستطيع أن نستنتج من الكتاب المقدس أن الله لم يستخدم قط إنساناً متكبراً، وحالما يصبح هذا الشخص متكبراً، ففي تلك اللحظة ينحيه الله جانبا . إن كبرياءه الخفي سوف تعلنه كلماته إن آجلاً أو عاجلاً، لأن الكلام قابل للتسرب. إن المتواضع سوف يندهش جداً أمام كرسي المسيح، وإذا صح هذا، فكم من الرعب سوف يصيب المتكبر؟ علينا أن نشعر بعدم أهليتنا، لأن الله يستخدم غير النافع إن الدبلوماسية المؤدِبة ليست المطلوبة هنا، لكن بالحري الإحساس الصادق أننا مجرد خدام بطّالين (غير نافعين). أخيراً قال الرب "**لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**" (مر 10: 45)، فلم يأت الرب لكي يتمتع بسلطان، بل جاء ليخدم. كلما قل غرور الإنسان وزاد تواضعه، كان استخدام الله له أكثر، لكن كلما زاد شعوره بالأهميه والتميّز، كان استخدامه أقل. لقد أخذ ربنا صورة عبد وولد في الهيئة كإنسان، ولم يسع قط لامتلاك سلطة ما، لأن السلطان قد أُعطى له من الله. كان مبدأه هو الارتفاع من الإتضاع إلى العلاء. ليتنا نخدم الكل إلى أن يأتي يوم يستأمننا الله على مسئولية مُعيّنة، وهكذا نتعلّم أن نمثل الله، لأن الخدمة هي أساس السلطان. إن الخدمة تأتي من القيامة، والخدمة تأتي من البذل، والسلطة تأتي من الخدمة. ليت الله يحررنا من الفكر العالي. ما أخطر دينونة أولئك الذين يقبضون على سلطان الله بأيديهم الجسدية.

علينا أن نخشى السلطان كما نخشى نار جهنم. إن تمثيل الله ليس أمراً هيناً، بل هو عظيم جداً وعجيب للغاية. أن نسير بحذر في طريق الطاعة، لأن سبيلنا هو الطاعة وليس السلطان، وطريقنا أن نكون خداماً وليس رؤساء، وأن نكون عبيداً لا حكاماً. كان موسى وداود أعظم من تمتعوا بالسلطان، لكنهما لم يحاولا قط أن يثبتا سلطانهما الخاص، وعلى الذين يرغبون اليوم في السلطة، أن يتبعوا آثار خطواتهما.

19. أصحاب السلطات يجب أن يقدّسوا أنفسهم

"**وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ**"(يو 17: 19)، لقد رأينا أن السلطة الروحية مبنية على الروحانية، وهي ليست شيئاً يوزعه الناس أو يعيّنه الله ببساطة. إننا نحتاج أن نتذكر أنها تقوم على الروحانية من جانب، ومن الجانب الأخر تقوم على مدى طاعة الإنسان و إتضاعه أمام الله. ونحن نضيف الآن نقطة أخرى، وهي أن هذا الإنسان صاحب السلطان، عليه أن يتقدّس. ورغم أن ربنا يسوع كان مرسلاً من الله وله شركة غير منقطعة مع الله لكنه أعلن عن تقديس ذاته.

ما معنى أن الرب يقدّس ذاته؟

لقد "قدّس" الرب نفسه من أجل تلاميذه، يعني أنه امتنع عن فعل أشياء كانت صحيحة له بالكامل؛ وعن التحدث بكلمات كثيرة كان له الحق بالنطق بها؛ وعن اتخاذ مواقف عديدة كان لها مبرراتها؛ وعن ارتداء أنواع من الملابس كانت مناسبة له؛ وعن أكل أطعمة متنوعة كانت عادية بالنسبة له. ولكونه ابن الله الذي لم يعرف خطية، فإن حريته فاقت أي حرية لنا على الأرض. إننا لا نستطيع فعل بعض الأمور بسبب نقصات فينا، وهناك كلمات لا نستطيع أن نتكلمها لأننا غير أنقياء. لكن في حياة ربنا يسوع، لم تكن هناك مثل هذه الصعوبة. إنه القدوس الأعلى، ولم يكن متكبراً على الإطلاق، ومن ثم لم يكن محتاجاً إلى إتضاع، ولا إلى صبر، ولا أي قيد لأنه بلا أية خطية؛ وحتى غضبه كان بلا خطية. ورغما عن ذلك فإنه يقول "لأجلهم أقدس أنا ذاتي". لقد كان راغباً أن يكون مقيداً في أشياء كثيرة. من جهة موضوع القداسة، فالرب لا ينظر إلى قداسته الذاتية، بل أيضاً إلى قداستنا نحن؛ وأية قداسة لنا تجعلنا نتقدّس من هذا العالم؟ لذلك هناك أمور كثيرة لا نستطيع عملها. إن الرب بخلاف قداسته الشخصية، فإنه يضيف قداستنا نحن، ولذلك يُقدّس نفسه. إنه من أجلنا يقبل القيود التي تأتي من البشر وبما أنه يتكلم ويعمل بحسب قداسته، بينما البشر يتكلمون ويحكمون دائماً بحسب خطاياهم، فقد كان مستعداً أن يقبل القيد، لئلا يُساء فهمه بواسطة أفكار الناس الخاطئة. إننا لا نفعل ذلك بسبب الخطية، لكنه يضع نفسه تحت قيد بسبب القداسة. إننا لا نعمل لأنه يجب أن لا نعمل، لكنه لا يعمل ما يستطيع هو أن يعمله. إنه من أجل سلطان الله، يمتنع عن فعل أمور كثيرة لكي يظهر انفصاله عن العالم. وهذا هو معنى أن الرب يقدّس ذاته.

التمتع بالسلطة قد يعني التوحُّد (التفرد)

لكي نتعلّم أن نكون في سلطة، علينا أن نتقدّس أمام الإخوة والأخوات، وربما لا نعمل أموراً كثيرة مباحة، ولا نتفوه بكلمات مشروعة، إذ يجب أن نتقدّس في الكلام والمشاعر. إننا نتخذ موقفاً بحسب أنفسنا، لكننا نتقدّس في وسط أولاد الله؛ وحتى في شركتنا مع الآخرين، يجب أن يكون هناك حد لا نتعداه عبثاً أو باستهتار. ربما نفقد حريتنا، ونكون منعزلين. وهذا الانعزال هو علامة السلطان، ليس بسبب الكبرياء، ولكن من أجل تمثيل سلطان الله. لا توجد مسألة خطية هنا، لكنه موضوع تقديس فقط. وعكس القداسة هو المشاع وليس الخطية، والتقدّس هو الاختلاف عن الآخرين، فأمور صحيحة لا نعملها، وكلمات لا ننطق بها، وهذا ليس إدعاء خارجياً لكنه قيد الله في الروح. وبهذا الأسلوب فقط، يمكن أن نكون سلطات الله المفوّضة. إن من يتمتع بسلطان، يمثل الله في كل كلمة له وفي كل عمل يقوم به. وكما رأينا في أصحاحي 20، 21 من سفر العدد أن موسى فشل أن يقدّس الله في أعيُن الشعب كما لم يقدّس نفسه أمامهم. لقد أساء تمثيل الله ومن ثم لم يقدر أن يدخل كنعان. إن العصافير تطير جماعات، أمّا النسور فهي تطير منفردة. إن كنا لا نستطيع الطيران إلا على مستوى منخفض لأننا لا نحتمل وحدانية (انفرادية) الطيران العالي، فإننا غير مناسبين للسلطان. إن البقاء في السلطة يتطلب التقيُّد أي تقديس الذات، وربما تشعر بالوحدة وتفقد حرارة الجماعة، ومع ذلك فلا تتجاسر على الإندماج مع الآخرين في هزلهم أو نكاتهم. وهذه هي صورة السلطان. وإذا لم نقدّس أنفسنا مثل سيدنا، نكون غير مؤهلين للسلطة. لكننا كأعضاء بعضنا لبعض، فكل مَنْ في سلطة، يجب أن يكون عادياً في الاحتفاظ بشركة الجسد مع الباقين. إنه كممثل لله يجب أن يُقدّس نفسه تحت حكم الله حتى يكون قدوة للكل، وكعضو في الجسد، يجب أن يخدم في توافق مع الآخرين دون افتراض باطل أنه في مرتبة خاصة.

السلطة تتطلب تقييد المشاعر

يسجل الوحي "**وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا. فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ. فَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: "هذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائِلاً: فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ، وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ". فَصَمَتَ هَارُونُ. فَدَعَا مُوسَى**

مِيشَائِيلَ وَأَلْصَافَانَ ابْنَيْ عُزِّيئِيلَ عَمِّ هَارُونَ، وَقَالَ لَهُمَا: "تَقَدَّمَا ارْفَعَا أَخَوَيْكُمَا مِنْ قُدَّامِ الْقُدْسِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ". فَتَقَدَّمَا وَرَفَعَاهُمَا فِي قَمِيصَيْهِمَا إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، كَمَا قَالَ مُوسَى. وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ وَأَلِعَازَارَ وَإِيثَامَارَ ابْنَيْهِ: "لاَ تَكْشِفُوا رُؤُوسَكُمْ وَلاَ تَشُقُّوا ثِيَابَكُمْ لِئَلاَّ تَمُوتُوا، وَيُسْخَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فَيَبْكُونَ عَلَى الْحَرِيقِ الَّذِي أَحْرَقَهُ الرَّبُّ. وَمِنْ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لاَ تَخْرُجُوا لِئَلاَّ تَمُوتُوا، لأَنَّ دُهْنَ مَسْحَةِ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ". فَفَعَلُوا حَسَبَ كَلاَمِ مُوسَى" (لا 10: 1- 7) القضاء على ناداب وأبيهو بسبب فشلها الخضوع لسلطة أبيهما هرون. كان أبوهما قد مُسح في ذلك اليوم نفسه وكذلك أولاده الأربعة، لمساعدة أبيهم في خدمة الله وليس لخدمة منفردة منهما. لكن ناداب وأبيهو قدما نار غريبة ولذلك أكلتهما النار. ثم قال موسى هرون "هذا ما تكلم به الرب قائلاً في القريبين مني أتقدّس" وهنا يعلن الله أن القريبين منه لا يجب أبداً أن يكونوا مهملين، بل عليهم تدريب أشد من عامة الشعب. ماذا فعل هرون عندما مات اثنان من أبنائه الأربعة؟ كانت له آنذاك علاقة مزدوجة، فقد كان الكاهن أمام الله، وكان أيضاً رأساً لعائلته، وهل يستطيع إنسان أن يخدم الله لدرجة نسيان ابنه الخاص؟ كانت العادة في الشعب إسرائيل، إنه إذا حدثت وفاة في العائلة فإن أفراد العائلة يطلقون شعور رؤوسهم ويمزقون ثيابهم. لكن موسى أمر هرون وابنيه الآخرين أن لا يتبعوا عادة تلك الأيام.

إن الحزن هو تعبير بشري عادي وهو أمر مشروع، لكنه كان ممنوعاً لأولئك الذين خدموا الله لئلا يموتوا... وما أخطر ذلك! إن كان يفعله كل شعب إسرائيل، لم يستطيع أولئك أن يفعلوه. من الطبيعي والمسموح به أن ينوح الآب على ابنه، وأن يولول الإخوة على إخوتهم، لكن الذين هم مسحة مقدّسة، يجب أن يقدّسوا أنفسهم. لا توجد خطية في هذا الأمر، ولكن ليس كل ما هو مشروع يمكن عمله بلا تمييز. سبق أن ذكرنا أن عكس التقديس هو التصرف الشائع. فالتقديس يعني أن الآخرين يستطيعون، أمّا أنا فلا أستطيع؛ ويعني ما يفعله التلاميذ، لا يفعله الرب يسوع؛ وإن ما يفعله الآخرون لا يفعله أصحاب السلطان. وحتى المشاعر المألوفة، تحتاج إلى وضعها تحت السيطرة، وإلا فالموت هو النتيجة. لقد مات الشعب بسبب خطاياهم، أمّا الكهنة فقد يموتون بسبب تقديسهم. إن مَنْ يتمتع بسلطة عليه أن يدفع الثمن. إن هرون لم يتمكن حتى من الخروج خارج الخيمة. بل سمح لآخرين بدفن الموتى. إن شعب إسرائيل لم يكن يحيا داخل الخيمة، أمّا

هرون وأبناؤه فلم يسمح لهم بمغادرتها. إن دهن المسحة يقدسنا من مشاعرنا الطبيعية كما من السلوك المعتاد، وعلينا أن نحترم هذه المسحة التي يعطينا الله إياها، وعلى أصحاب السلطات المفوّضة من الله، أن يحافظوا على مجد الله، فلا يطلقوا العنان لمشاعرهم الخاصة ويتصرفوا بإهمال أو بعصيان، بل عليهم بالأحرى أن يشكروا الله لأنهم يرون مجده. إن الذين يخدمون هم الممسوحون من الله، وعليهم أن يُضحوا بمشاعرهم الخاصة، وينكروا حتى الأمور المشروعة منها. إن الذين يحتفظون بسلطان الله يجب أن يتعلموا كيفية معارضة مشاعرهم الخاصة، وكيفية تنحية أعمق مشاعرهم نحو أقاربهم وأصدقائهم والمحبوبين لديهم. إن الذي تقدّس هو خادم للرب، ومن لم يتقدّس فهو شخص عادي.

تقديس في الحياة وفي المسرات

لماذا قدم ناداب وأبيهو نار غريبة؟ إننا نقرأ أنه بعدما حدث ذلك قال الله "**خَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكَيْ لاَ تَمُوتُوا. فَرْضًا دَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ هرون**" (لا 10: 9) يتفق كثيرون من الدارسين أن هذين الولدين قدما نار غريبة لأنهما سكرا، وقد حرم الله شرب الخمر ولا لمسها بالنسبة لكهنة الله. وهنا الأمر بالمتعة التي يتمتع بها آخرون دوننا نحن. قد يستمتع الآخرون ببعض المسرات لكننا نحن لا نستطيع ذلك. إن الذين يخدمون الله هم تدريب خاص حتى يتمكنوا من التمييز بين المُقدّس والمُحلل، وبين النجس والطاهر. يسجل الوحي في (لا 21) المتطلبات الخاصة التي وضعها الله على الكهنة الذين يخدمونه لتقديس أنفسهم، وهي كانت كما يلي:

1 - عدم التنجّس لميت، إلا لأقرب قريب (كان هذا مطلباً عادياً).

2 - يجب أن يتقدّسوا في الملبس وفي الجسد. لا يجعلوا قرعة في رؤوسهم ولا يحلقوا عوارض لحاهم (كان المصريون يفعلون ذلك في عبادة الشمس) ولا يجرحوا جراحة في أجسادهم.

3 - يجب تقديسهم في الزواج.

4 - بالنسبة لرئيس الكهنة، كانت طلبات الله أكثر دقة، فلا يجب أن يذهب لأي ميت ولا أن يتنجس حتى لأبيه أو أمه.

كلما ارتفع المركز، زادت الطلبات، وكلما يستأمنا الله أكثر، كانت طلباته أكثر، وما يهم الله هو مدى تقديس خدامه لأنفسهم من عدمه.

السلطة مبنية على التقديس

بدون تقديس لا إمكانية للسلطة. إذا أردت أن تعيش مع الجموع لا تستطيع لأن تكون صاحب سلطان. إنك لا تستطيع أن تمثّل الله إذا احتفظت بعلاقة حرة أو سائبة مع الناس، وكلما علت السلطة، زاد الانفصال. الله هو أعلى سلطة، وبالتالي فهو فوق الكل. ويستطيع الرب يسوع أن يفعل كما يشاء، ولكنه من أجل تلاميذه، يقدّس نفسه، وهكذا يقف في جانب القداسة. ليتنا نتمنى قلبياً أن نرضي الله أيضاً وهكذا نسعى نحو تقديس أعمق. وهذا يعني التميز عن المُشاع، ولا يعني الانفصال عن أولاد الله كما كنا أقدس منهم. وكلما تقدسنا وخضعنا تحت سلطان الله، نلنا سلطات مفوّضة أكثر .أمّا إذا فشل أصحاب السلطان في الكنيسة، فكيف تستمر الطاعة إذن؟ ما لم يتم حل مشكلة السلطة، فالكنيسة سوف تصبح فوضى.

إن صاحب السلطة لا يقبض على السلطة؛ إنه يخدم الله، ومستعد لدفع الثمن، ولا يسعى للإثارة. إن التمتع بالسلطة يتطلب التسلّق عالياً ودون الخوف من الوحدة، ويتطلب التقديس. ليتنا نضع كل شيء على المذبح حتى يتم استعادة سلطان الله، وهذا هو طريق الرب في كنيسته.

20. شروط السلطات المفوضة

"أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ... أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ" (أف 5: 22، 25)

"أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ ... وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ، لاَ تُغِيظُوا أَوْلاَدَكُمْ ... وَأَنْتُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ، افْعَلُوا لَهُمْ هذِهِ الأُمُورَ، تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ، عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ" (أف 6: 1، 4، 9)

"اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي: حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْرًا وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟" (مز 82 : 1، 2)

"يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ، غَيْرَ مُعْجِبٍ بِنَفْسِهِ، وَلاَ غَضُوبٍ، وَلاَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلاَ ضَرَّابٍ، وَلاَ طَامِعٍ فِي الرِّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ مُضِيفًا لِلْغُرَبَاءِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، مُتَعَقِّلاً، بَارًّا، وَرِعًا، ضَابِطًا لِنَفْسِهِ" (تي 1: 6- 8)

"يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا... غَيْرَ حَدِيثِ الإِيمَانِ لِئَلاَّ يَتَصَلَّفَ (ينتفخ) فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ" (1تي 3: 4- 6)

"تَكَلَّمْ بِهذِهِ، وَعِظْ، وَوَبِّخْ بِكُلِّ سُلْطَانٍ. لاَ يَسْتَهِنْ بِكَ أَحَدٌ" (تي 2 : 15)

" لاَ يَسْتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلاَمِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ" (1تي 4: 12)

"لأَنَّكُمْ لِهذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ" (1بط 2: 12)

إن السلطات التي أقامتها الله في العائلة هي الآباء بالنسبة لأولادهم؛ والأزواج بالنسبة لزوجاتهم؛ والسادة بالنسبة لعبيدهم؛ وفي العالم هناك الملوك بالنسبة للأفراد؛ والحكام بالنسبة للمحكومين. وفي الكنيسة هناك الشيوخ (القسوس) بالنسبة لشعب الله، والعاملون بالنسبة لأعمالهم. وكل هذه السلطات لها شروطها المناسبة لها.

(1) الأزواج

يعلّمنا الكتاب المقدّس أن تخضع الزوجات لرجالهن، مع ممارسة الأزواج لسلطانهم تحت شرط معيّن. لقد حث الرسول أن يحبوا نساءهم كما يحبون أنفسهم، ثلاث مرات في (أف 5). لا شك أن هناك سلطاناً في العائلة، ولكن صاحب السلطان يحتاج أن يحقق ما يطلبه الله. إن محبة المسيح

للكنيسة هي مثال المحبة التي بين الأزواج وزوجاتهم، فإذا أراد الأزواج أن يمثلوا سلطان الله عليهم أن يحبوا زوجاتهم.

(2) الآباء

لا نزاع في أن الأولاد يطيعون آباءهم، لكن سلطان الآباء له مسئوليته وشروطه أيضاً. يقول الكتاب للآباء **"لا تغيظوا أولادكم"** بمعنى الحاجة أن يتعلموا كيفية ضبط أنفسهم أمام الله، ولا يجب أن يعاملوا أولادهم بحسب نزواتهم الخاصة معتقدين أنهم أصحاب الحق المطلق عليهم لأنهم أنجبوهم وربوهم. لقد خلقنا الله، لكنه لا يسيء معاملتنا على الإطلاق. ليس صحيحاً أن نتصرف مع أولادنا بما لا نتجاسر أن نفعله مع الأصدقاء أو الطلبة، أو الأقارب. هناك أهمية قصوى للآباء وهي ضبط أنفسهم (أي السيطرة على أنفسهم) بالروح القدس، وهناك حدود لما يمكن أن يفعله الآباء نحو أولادهم، وهدف سلطانهم عليهم هو تعليمهم وتربيتهم وإنذارهم في خوف الرب، ولا مجال للتحكّم فيهم أو عقابهم هنا، لأن المقصود هو التعليم بمحبة وحماية.

(3) السادة

الطاعة واجبة من العبيد لسادتهم، ولكن السيادة لها شروطها أيضاً، إذ يجب على السادة أن لا يهددوا أو يغيظوا عبيدهم، ولا يسمح الله لسلطاته المفوّضة أن تتصرف بإسراف بل يجب أن يكون خوف الله في داخلهم، ولابد أن يدركوا أن سيدهم وسيد عبيدهم هو في السماء، وأنه ليس عنده محاباه (أف 6: 9) والسادة هم أيضاً تحت سلطان الله، وليسوا بلا قيود. وكلما عرف شخص أكثر عن السلطان، صار أقل غروراً وأكثر تخوفاً، ومن المواقف التي لا يمكن الاستغناء الآخرين، فإنه هو نفسه سوف يدينه الله سريعاً، ولذلك يجب أن يرتعب السادة أمام الله.

(4) الحكام

علينا أن نخضع للسلطات الحاكمة، ولا يوجد في العهد الجديد أية تعليمات عن "كيف تصبح حاكماً؟". هل يمكن أن يكون هذا تلميحاً أن الله أعطى العالم لغير المؤمنين أن يحكموا وليس للمؤمنين؟ يبدو بحسب العهد الجديد أن الله لم يقصد للمؤمنين أن يحكموا على الأرض في هذا الدهر. ولكن العهد القديم يشرح لنا شروط الحكام. إن المتطلبات الأساسية للسلطات الحاكمة هي البر وعدم المحاباة، و العدل، والعناية بالفقراء.

(5) الشيوخ

إنهم يمثلون السلطة في أي اجتماع محلي، وعلى الإخوة أن يتعلموا الخضوع لهم. من المؤهلات الضرورية للشيوخ كما وردت في (تيطس1) هو ضبط النفس. إن الذي بلا قانون لا يستطيع أن يقوي القانون، ولا العاصي أن يجلب الخضوع، ولذلك على الشيوخ أن يضبطوا أنفسهم جيداً. إن ظاهرة انتشار عدم الالتزام صارت سائدة بين الناس، ولذلك فإن المختار كشيخ يجب أن يكون هو الأكثر انضباطاً، لأن الشيوخ هم الذين يعتنون بالكنيسة، وعليهم أن يتعلموا أولاً كيفية الطاعة والانضباط، حتى يكونوا أمثلة للآخرين. إن الله لا يقيم أبداً مسئولاً يجب أن يضع نفسه أولاً – مثل ديوتريفوس (3 يو 9). هناك مؤهل ضروري آخر للشيخ ورد في (1تي 3، 4)، وهو أنه يدبر بيته حسناً، وربما يعني بالبيت الأولاد أكثر من الآباء أو الزوجات، لأن الأولاد عليهم أن يحافظوا على الخضوع والاحترام في كل شيء. إن مَنْ يعرف أن يكون أباً صالحاً، يمكن اختياره شيخاً، وبما أنه يمارس سلطة مناسبة في البيت، فهو مؤهل أن يكون شيخاً في الكنيسة. لا يجب أن يكون الشيخ معجباً بنفسه، ومَنْ يصبح متعالياً عندما يحصل على سلطة، فهو غير مناسب كشيخ، وإحساسه بهذا السلطان يفقده الصلاحية أن يكون شيخاً. إن الصغار فقط هم المتكبرون، ولا يستطيعون أن يحملوا مجد الله أو استخدامه لهم أو ثقته فيهم، ولذلك فإن المتجدد حديثاً لا يجب اختياره شيخاً لئلا ينتفخ ويسقط في دينونة إبليس. (تعبير "حديث الإيمان" في الأصل اليوناني يعني النجار المبتدئ والذي يمسك المطرقة لأول مرة).

(6) الخدام العاملون

السلطات المفوّضة لها شرط في العمل محدد في **"تَكَلَّمْ بِهذِهِ، وَعِظْ، وَوَبِّخْ بِكُلِّ سُلْطَانٍ. لاَ يَسْتَهِنْ بِكَ أَحَدٌ"** (تي 2: 15). لم يكن تيطس شيخاً في الكنيسة، لكنه خدم الرب على أساس أنه رسول، وقد حثه الرسول بولس قائلاً: تكلم بهذه وعظ ووبخ بكل سلطان. لا يستهن بك أحد، فحتى لا تحدث استهانة يجب على الشخص أن يقدّس نفسه، وإذا لم يختلف عن الآخرين في الحياة والسلوك، وإذا عاش حياة سائبة وبلا انضباط، فإنه لن يسلم من الاستهانة. إن الانضباط هو الذي يجذب احترام الآخرين ويؤهل الفرد لتمثيل الله في سلطانه. لقد تحدث الرسول بولس إلى تيموثاوس بالأسلوب ذاته. صحيح أن الخادم لا يطلب مجداً وكرامة من الناس، لكنه لا يسمح لنفسه بالإهانة بسبب نقص تقديسه.

يوجد سفران فقط في العهد الجديد تم كتابتهما لخادمين شابين؛ وفي كليهما حثهما الرسول بولس أن يستهين بهما أحد بسبب صغر سنهما، بل بالعكس، عليهما أن يكونا قدوتين للمؤمنين الآخرين، وأن يرفضا كل ما يمكن أن يسبب الاستهانة بهما. نعم إن الحصول على السلطة أمر مُكلّف، إذ لابد من التقديس عن الباقين والاستعداد لحياة منفردة. إن المعتبرين قدوة يختلفون عن البقية، في تقديس أنفسهم. لا يجب على أحد منهم أن يرفع نفسه، لكنه أيضاً لا يسمح باستهانة لنفسه. لا تكن أبداً معجباً بنفسك، ولا تكن أيضاً محتقراً على الإطلاق. وحالما يصبح الفرد عادياً جداً، فقد سقط من العمل أو الخدمة، وضاع استخدامه وخسر سلطانه. إن الاحتفاظ بسلطان الله أمر في غاية الأهمية، فالسلطان يظهر في التقديس وليس في الأمور الشائعة العادية؛ وتمثيل السلطة يعني تمثيل الله، ولكي تكون صاحب سلطة عليك أن تكون قدوة للكل.